الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية الآداب واللغات
– قسم اللغة والأدب العربي–

العلاقة بين الصّرف والنحو والبلاغة في مفتاح العلوم للسّكاكي

مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي الأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

✍ سارة قدري.

✍ الزهرة أولاد عبد الله.

إشراف أ.الدكتور: محمّد السّعيد بن سعد

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د/ بلقاسم غزيل	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	رئيســـــا
أ.د/ محمّد السّعيد بن سعد	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د/ الطاهر برهيمي	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	مناقشـــا

الموسم الجامعي: 1439–1440هـ/2018– 2019م

شكـــــــــر وعرفـــــــــــان

نهدي هذا العمل المتواضع إلى من قال الله عزّ وجلّ فيهما ﴿**فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا** ٢٤﴾. [سورة الإسراء، الآية:24].

إلى من لا يمكن للكلمات أنْ تفي حقهما، إلى من لا يمكن للأرقام أنْ تحصي فضائلهما، إلى من جعلا منا خريجي جامعة.

كما نشكر كلّ من تحمله ذاكرتنا وكلّ من ساهم في المساعدة ولو بالقليل.

إلى كلّ من بذل جُهدا وعمرا في سبيل خدمة لغة الضّاد.

إلى كلّ أولئك الذين لم يأت عليهم الذكر، نتقدم بخالص حبنا وتقديرنا ونهدي هذا العمل امتنانًا وعرفانًا.

- **أولاد عبد الله الزهرة**
- **قـــــدري ســـارة**

ملخص

يُعتبرُ كتاب مفتاح العلوم للسكاكي من أهم كتب البلاغة، حيث ضَمَّنهُ الكثير من فنون البلاغة والتي تُظهر إعجاز القرآن الكريم؛ وفي هذا البحث تناولنا العلوم البلاغية الثلاثة (البيان، علم المعاني، البديع)، لنُبيّنَ تمكُّنَ هذا العَالِم من علوم البلاغة وقدرته الإبداعية في هذا المجال.

وهدفنا في هذا البحث دراسة العلاقة القائمة بين علوم النحو والصرف والبلاغة في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي، وذلك من خلال استخراجنا للعلاقة المشتركة بين هذه العلوم؛ مُنتَهجينَ في ذلك خطة مكونة من: مقدمة وأربعةُ مباحث زاوجنا فيها بين النظري والتطبيقي وخلصنا إلى خاتمة استخلصنا فيها كل النتائج.

تحدثنا في المدخل عن حياة السكاكي ومكانته العلمية وعرَّفنا كتابهُ مفتاح العلوم وجعلنا المبحث الأول للصرف، والمبحث الثاني تناولنا فيه النحو، أما المبحث الثالث فكان عن البلاغة، وآخر مبحث تحدثنا فيه عن العلاقة القائمة بين هذه العلوم وهي جوهر بحثنا وضَمّنا الخاتمة نتائج بحثنا.

واتضح في نهاية البحث أن السكاكي عالِمٌ من عُلماء البلاغة الذين كان لهم دور كبير في دراسة وإثراء العلوم العربية، وكذلك كانت له آراء بلاغية جديدة عارضَ فيها بعض العلماء السابقين وأشار إلى أُمورٍ لم يذكرها من سبقهُ من علماء البلاغة، ويكفيه أنّه حدد علم البلاغة باعتبار أنّ أي علم لابُدَ له من موضوع مُستقل ومُصطلحاتٍ مُستقلة ومنهج مُستقل.

Résumé

Book key of the flags considers for ESAKAKI from important books of the eloquence, where within him a lot of arts of the eloquence and which generous disablement the Quran appears; Fulfilled the searching raved taking our the rhetorical flags the three (the statement, flag helped, exquisite), to ability shows the scientist from flags raved the eloquence and afforded him excellent in this respect.

Aimed in the searching raved the studious relationship upright between flags the manner and the dismissal and the eloquence in book key of the flags for stratospheric, and that through our extraction for the joint relationship between this flags; at that formative plan from: Introduction and four topics mated in her between the sights and applied and end freed to extracted in her all results.

The ESAKAKI entrance about life and his scientific standing spoke in and introduced us his book key of the flags and the topic made first for the dismissal, and the topic second taking our in him the manner, as for the topic third disassembles about the eloquence, and last topic spoke in him about the upright relationship between this flags weak essence searched and joining our last results searched.

End of the searching cleared up in that ESAKAKI scientist from scientists the eloquence who worry of role was for grown-up in study and enrichment of the flags Arabic, and likewise was for him rhetorical opinions new accidental in her some previous scientists and indicated to does not mention her from preceded him from the knowledgeable eloquence, and suffices him that he rhetoric in consideration determined that any flag to annihilates for him from independent subject and independent method.

مقدمـــــــة

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

كان التكامل المعرفي بين علوم اللّغة والأدب في تُراثنا العربيّ سمةَ العلماء القدماء حتى وسموابالموسوعية والشمولية الثقافية؛ ذلك لإيمانهم العميق بالتّرابط والتكامل المعرفي بين العلوم.

فكان الأديب مثلا في تُراثنا العربّي يُقوّمُ لسانه ويُصحح لغته؛ باطلاعه على علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وعروض...

حيث إنَّ اللغويّ شديد الصّلة بنصوص الأدب يتفحصُها ويُنمِي بها ذوقهُ ليُصبح قادرًا على بلاغة الأداء، بلْ لم تنشأ جلُّ هذه العلوم إلاَّ لادراك جمالية النصوص وأدبياتها، ولا يُمكن تصور الخوضِ في نقد النصوص ومقاربتها دون التَّسلُح بعلوم اللّغة؛ (الصّرف، النّحو، البلاغة) والتي عالجها السّكاكي في مفتاح العلوم تحت علوم الأدب، وقد لاَحظنا في هذه الطريقة تكامل المستويات اللّغوية المختلفة لدراسة النص وبالتالي دراسة اللّغة من جميع النّواحي، تحقيقًا لأهداف توخاها من علم الأدب هي: الاحتراز عن الخطأ في العربية أثناء الكلام لفهمه فهمًا صحيحًا، فوجد مثارات الخطأ لا تخرج عن ثلاثة: المفرد والتأليف وكون المركب مطابقًا لما يجب أنْ يتكلم له، مِماَ دفعنا إلى البحث عن العلاقة بين هذه العلوم، فوسمنا موضوعنا: **العلاقة بين الصّرف والنحو وبالبلاغة في مفتاح العلوم لسكاكي**، ومن الأسباب التي دفعتنا إلى طرق هذا الموضوع؛ حبُّ الاطلاع والإتيان بالمفيد، إضافة إلى ذلك إيماننا الراسخُ في أنَّ البلاغيين أفادوا في دراستهم من علم الصّرف والنّحو، مما يستدعي بالضرورة أنْ تكون العلاقة القائمة بينهم موجودة.

كما أنَّ إعجابنا بما تناوله السّكاكي في مفتاح العلوم وميولنا إلى الاطلاع على التراث العربي القديم أثار فينا الفضول إلى محاولة الوصول إلى العلاقة القائمة بين هذه العلوم الثلاثة.

عليه تولدت لدينا مجموعة من الأسئلة كانت بمثابة إشكالية للبحث وهي: **لِمَ جمع السكاكي بين هذه العلوم؟ وَمَا العلاقة القائمة بين علم الصّرف وعلم النحو وعلم البلاغة في مفتاح العلوم؟**

اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي مشفوعًا بالإجراء التحليلي، وقد نلجأُ من حين لآخر لشيءٍ من المقارنة، كَوْن الكتاب بحاجة إليها من أجل التعرُّف على مقارنة مفهوم السّكاكي لهذه العلوم ومفهومها عند غيره من البلاغيين، والوقوف على العلاقة القائمة بينها في كل هذا اعتمدنا الخطة الآتية:

بدأناها بمقدمة فمدخل تمهيدي عنونه بـ: التعريف بالسّكاكي وكتابه، فتناولنا فيه التعريف بالمؤَلِّف والمؤَلَّف، ثم دخلنا موضوعنا الرئيس عن طريق أربعة مباحث:

المبحث الأول وسمناه: علم الصّرف في مفتاح العلوم، تناولنا فيه تعريف الصّرف لغة واصطلاحا إضافة إلى مفهوم الصّرف عند السكاكي مشيرين أيضا إلى ما تناوله في قسم الصّرف.

المبحث الثاني كان علم النّحو في مفتاح العلوم: تحدّثنا عن النحو في مفتاح العلوم متطرقين فيه إلى ماهية النّحو لغة واصطلاحا، زيادة على ذلك مفهومه عند السكاكي ملمين بما جاء في قسمه (قسم النحو).

المبحث الثالث جاء بعنوان: علم البلاغة في مفتاح العلوم، تطرقنا فيه إلى البلاغة لغة واصطلاحا معرفين علوم البلاغة عند السّكاكي محيطين بما جاء في قسمه الثالث.

المبحث الرابع عُنوّن بـ: العلاقة بين العلوم الثلاثة؛ بحيث انصب كل اهتمامنا إلى العلاقة القائمة بين هذه العلوم في مفتاح السّكاكي من: صرف ونحو وبلاغة.

ذيلنا بحثنا بخاتمة ذكرنا فيها النتائج التي توصلنا إليها ويليها الملحق الذي يتضمن فهرس العلوم الثلاثة في كتاب مفتاح العلوم زيادة في التّوضيح.

أمّا في ما يخص الدّراسات السابقة، والخاصة بالعلاقة بين: علم الصّرف وعلم النّحو وعلم البلاغة وكونها جامعة لعلم الأدب فلم نعثر في ما وقع تحت أيدينا من المراجع ما يشير إلى ذلك.

الحقيقة التي لا جدال فيها أن إنجاز أي عمل لا محالة إلا وتعترضه صعوبات ومن بينها: قِلَّة المصادر التي تُعرِّف بالمؤَلَفِ والمؤَلِّفِ، بالإضافة من عناء التنقل بين المكتبات العامة والخاصة منها من أجل الإحاطة بالموضوع، ومن الصعوبات أيضًا ندرة بل استحالة الدراسات السابقة لموضوعنا بخاصة في ما يتعلق بالعلاقات القائمة بين العلوم المذكورة، التي كان من الممكن الاستفادة منها أو تتبع خطاها، أَضف إلى ذلك أنَّنَا ممرنا بفترة عصيبة، كونَنا غيرنا عنوان المذكرة للبدء في موضوع جديد. وحرصنا على إيداع هذه المذكرة في وقتها المحدد.

كما بذلنا جهدنا من أجل تجنب الحشو والخوض في أمور جانبية، مركّزين على موضوعنا الرئيس من بداية البحث إلى نهايته.

لا يَسعُنا في هذا المقام إلا أنْ نتوجه بالشُكر الجزيل والتّقدير الكبير والعرفان بالجميل إلى أستاذنا الأستاذ الدكتور: **محمّد السّعيد بن سعد** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وجهوده من أجل إخراج هذا في حلة أنيقة، كما نتقدم بالشّكر الجزيل لأساتذتنا الكرام بقسم اللغة والأدب العربي.

الشّكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة الموقرين على تحمّلهم عناء قراءة المذكرة، وتصويب أخطائنا وإبداء ملاحظاتهم التي سيكون لها الدور الكبير في إخراج هذا العمل على أكمل وجه، ونشكر كلّ من مد لنا يد العون من قريبٍ ومن بعيدٍ.

وما توفيقي إلا بالله.

غرداية في: 21 رمضان 1440هـ/26 ماي 2019م.

الطالبـــــة: سارة قدري.

الطالبـــــة: الزهرة أولاد عبد الله.

مدخل

التعريف بكتاب مفتاح العلوم:

مفتاح العلوم كتاب يبحثُ في علوم الأدب والذي يعدُّ أول مصنفات السكاكي وأهم كتبه، إمتاز السكاكي من أسلافه بحسن التبويب ودقّة الترتيب فجمع بين ثلاثة علوم أساسية "خص الأول منها بعلم الصرف والاشتقاق بأنواعه، والثاني بعلم النحو، أما القسم الثالث فتضمن البلاغة بعلومها الثلاثة: علم المعاني والبيان والبديع وما يلحق بها من قافية وعروض وأتبعها بمبحث في البلاغة والفصاحة وآخر عن المحسنات البديعية اللفظية منها والمعنوية"[1]، وهذه علوم يحتاجها كل دارس للغة العربية بخاصة البلاغة والنقد.

استمد الكتاب والكاتب مكانةً مرْمُوقةً بين مؤلفي ومؤلفات دراسات اللغة العربية، حيث لاقى قبولا و رواجًا بين الدارسين والمدرسين من العرب ولتسهيل فهم الكتاب قام العلماء بشرح (مفتاح العلوم)، تنوعت هذه الشروح بين الطول والمختصر وبعضها استوفى الكتاب كاملا، بينما اقتصر البعض الآخر على قسم من أقسام الكتاب الثلاثة : (صرف، نحو، و بلاغة) وما يلحق بها، فصار بأيدي طلاب العلم والعلماء يَقْرؤُونهُ ويُقَرّئُونهُ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض ما توفر من شروح أو تلخيص للقسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم للسكاكي وممن عنوا بشرحه : قطب الدين الشيرازي 710هـ، ومحمد بن مظفر الخلخالي 745هـ، والسيد الشريف الجرجاني 816 هـ، و ابن كمال باشا 940هـ.

ممن عنوا بتلخيص: بدر الدين بن مالك 668هـ، والخطيب القزويني 739هـ، وعبد الرحمان الشيرازي 756هـ[2].

(1) في البلاغة العربية علم البيان، عبد العزيز عتيق، ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د س،دط ، ج2، ص 30.

(2) ينظر، في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، د س، دط، ص 278.

يعتبر كتاب مفتاح العلوم من أقدم كتب البلاغة العربية، حتى إن علماء البلاغة كانوا يستمدون علمهم وتحقيقاتهم من خلال هذا الكتاب، تميز بالشرح الوافي لكل من العلوم بالأمثلة من أجل كشف الغامض منه والمستعصي، فهو إذًا كتاب هام وعلم يفيد الطالب والباحث في اللغة العربية، وقد أَورد في مقدمة كتابه قوله : "أَحَقُ كلامٍ أن تلهج به الألسنة، وأن لا يُطوى منشوره على توالي الأزمنة؛ كلام لا يُفَرَّغُ إلا في قالب الصدق ولا يُنْسجُ خبره إلا على منوال الحق..." [1]، ولا يزال إلى يومنا هذا عمدة الدارسين في البلاغة العربية وغاية السالك ومتنًا معتمدًا عند أهل العلم.

يُرَّجِحُ البعض إلى أنَّ شهرة السكاكي ترجعُ في الواقع إلى القسم الثالث من كتابه، ويشير إلى أنّ جهده هذا كان بالارتكاز على آراءِ علماء من سبقه من السلف مع تطرقه إلى بعض المواضيع التي قَلَّتْ العناية بها في قوله: "وقررت ما صادفت من آراء السلف قدس الله أرواحهم بقدر ما احتملت من التقرير مع الإرشاد على ضروب مباحث قلَّتْ عناية السلف بها وإيراد لطائف مُفتنة ما فتق أحد بها رتق أُذنٍ"[2]، أي أن ما أورده في علوم البلاغة ليس ابتكارا من عنده إنما هو تلخيص دقيق يجمع بين أفكاره الخاصة وأفكار البلاغيين من قبله، كما أوضح في مقدمة كتابه أن مراده جمع كلام السابقين وتمييزه واختيار المناسب منه وتلخصيه، يقول: "وما ضمنت جميع ذلك كتابي هذا إلا بعد ما ميزت البعض عن البعض التمييز المناسب، ولخصت الكلام حسب مقتضى المقام"[3]، وقد اعتمد في صياغة ذلك على : "قدرته المنطقية في التعليل والتجريد والتعريف والتقسيم والتفريع والتشعيب وأهم الكتب التي اعتمد عليها في النهوض بهذا

(1) مفتاح العلوم، السكاكي، ضبطه، نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م، ط2، ص 02.

(2) المصدر نفسه، ص 03.

(3) الصدر نفسه، ص 06.

العمل كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي المتوفي سنة 606هـ وكتابا دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، وكتاب الكشاف للزمخشري"[1].

هذه خلاصة لما أورده السكاكي في كتابه مفتاح العلوم الذي خدم العلوم العربية بما قدمه من القضايا الأسلوبية المهمة التي تعدُّ مكسبًا لنا لفهمها واستيعابها حتى نتمكن من التعامل مع النصوص الأدبية الحديثة وإظهار قيمتها البلاغية بمنهجٍ عربي أصيلٍ، وأنَّ كتابه هذا كان من أجل ضبط وتصنيف مباحث البلاغة وترتيبها ليُنْتِجَ بذلك ثمرة يحتاجها كل دارس للبلاغة أو النقد على حدٍّ سواء، وما زال هذا الكتاب محطَّ أنظار الباحثين على الرغم من تراجع الاهتمام باللغة العربية قياسًا لما كانت عليه أحوال العهود الزاهرة قبلاً؛ إلا أنّه سيظل مرجعًا مهما لا يستهان به في تراثنا البلاغي، ننصح إخواننا الطلبة بقراءته.

التعريف بالسكاكي :

"هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، ولد في قرية من قرى الخوارزمي عام (555هـ/1160م) وعاش في ظلِّ الدولة الخوارزمية"[2]. وهو أحد أفضل علماء البلاغة الذي خدم العلوم العربية بمعارفه "توفي سنة 626هـ"[3]، عاش السكاكي حياته كلها على الراجح في إقليم خوارزم لم يتحول عن غيره، حيث اكتفى بتحصيل علومه هناك متأثرا بالحياة الفكرية الثقافية لتلك المدينة التي كانت مركَزًا علميا آنذاك، ويظهر أن أسرته احترفت صنع المعادن وخاصة السكك، وهي المحاريث التي تُفلحُ بها الأرض، ومن ثم شاع لقب السكاكي والواضح أنها كانت تعنى بصناعة السكة وهي الحديدة المنقوشة التي تُضرَبُ بها الدّراهم، اتفق المترجمون له أنه ظل إلى نهاية العقد الثالث من حياته يعنى بصناعة المعادن حتى

(1) في البلاغة العربية علم البيان عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص 30-31.

(2) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002، ط15، ج8، ص 22.

(3) تسهيل البلاغة، أبو عبد الله فيصل بن عبره قائد الحاشري، دار الإيمان، الإسكندرية، 2006، دط، ص 141.

وقع في قلبه أن يتفرغ لطلب العلم، فأَكَبَّ على دراسة الفلسفة والمنطق والاعتزال والفقه وأصوله، وعلوم اللغة والبلاغة حتى أتقنها.

أما شيوخه فقد ورد في بعض كتب التراجم أنه تتلمذ على يد: سديد الدين الخياطي وابن صاعد الحارثي ومحمد بن عبد الكريم التركستاني وهم جميعًا من فقهاء المذهب الحنفي؛ وأشاد في مباحثه البلاغية بأستاذه الحاتمي، وله مصنفات مختلفة منها : البيان والطلسم وهو باللغة الفارسية وكتاب الجمل وهو شرح لكتاب عبد القاهر الجرجاني وكتاب مفتاح العلوم الذي اشتهر به (مدونتنا في البحث)[1].

يظهر أنه كان ذا شهرة واسعة في عصره حتى إن ياقوت الحموي قال عنه : "أبو يعقوب السكاكي من أهل خوارزم، علاَّمة إمام في العربية والمعاني والبيان، والأدب والعروض والشعر، متكلم فقيه متفنن في علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الرُّكْبان، ولد سنة أربع وخمسين وخمسمائة، وصنف مفتاح العلوم في اثني عشر علمًا أحسن فيه كُلَّ الإحسان وله غير ذلك"[2].

ورد في قصص الأبرار رواية عن السكاكي تحكي بداية حكايته في طلب العلم وهي على النحو الآتي : "كان السكاكي في بداية أمره حداداً، فصنع ذات يوم محبرة صغيرة من حديد وجعل لها قُفلاً عجيبًا وأهداها إلى ملك زمانه، فلمَّا أُحْضِرَ بين يدي الملك، تعجب الملك عن صنعته ولكن لم يرحب به كثيرا ولم يحتف به كما كان يتصور وصادف في هذا الوقت أن دخل رجل إلى الملك وكان السكاكي حاضراً فقام الملك احتراما لذلك الرجل وأجلسه في محله، فسأل عنه السكاكي فقيل له إنه من العلماء؛ ففكر السكاكي في نفسه أنّه لو كان من هذه

(1) ينظر، في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دس، دط، ص 271.

(2) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، تح: إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411هـ-1991، ط1، ج7، ص 1429.

الطائفة لكان أقرب إلى ما كان يطلبه من الفضل والشرف والقبول، خرج من ساعته لتحصيل العلوم وكان إذْ ذاك قد ذهب من عمره ثلاثون سنة"[1].

في رواية أخرى عن السكاكي ذكرت في كتاب روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات تشير إلى أنه بدأ بطلب العلم بعد أن انقضى من عمره ثلاثون عاما ما أَشْكَلَ عليه فهم العلوم واستيعابها في بداية مشواره، تقول هذه الرواية : "قال المدرس يومًا للسكاكي لعلك في سنٍ لا ينفعك فيه التعلم و أرى أن ذهنك لا يساعدك على اكتساب العلم، ثم أخذ يعلمه هذه المسألة (قال الشّيخ جِلْدُ الكلبِ يُطهَّرُ بالدِّباغَةِ) وجعل يكررها عليه، فلما كان من الغد جاء السكاكي وطلب منه أستاذه أن يعيد الدرس الذي قرأه بالأمس فقال السكاكي : (قال الكَلْبُ جِلْدُ الشّيخ يُطهَّرُ بالدِّباغة) فضحك منه الحاضرون، و يئس السكاكي من نفسه وضاق صدره فخرج إلى البراري والجبال فصادف أن رأى قليلا من الماء يتقاطر من فوق جبل على صخرةٍ صماء، وقد أحدث فيها ثقبًا من أثر ذلك التقاطر، فاعتبر بهذه وقال : ليس قلبي بأقسى من هذه الصخرة ولا خاطري بأصلب منها حتى لا يتأثر بالدرس والتحصيل"[2].

عاد بعدها إلى الدراسة وكله عزم وتصميم من أجل بلوغ مراده حتى فتح الله عليه من أبواب العلوم والمعارف، بحيث "أصبح قطب الرحى للبلاغة عند كثير من المتأخرين وبخاصة أصحاب الإتجاه العقلي"[3]، وذاع صِيتُهُ في أهل زمانه آنذاك مما حققه واكتسبهُ من المعرفة؛ ليت كثيرًا من الناس في يومنا هذا يقتفون أثره.

(1) قصص الأبرار، مرتضى مطهري، تح:جعفر بهاء الدين، منشورات الرضا، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، 2008، ط1، ص 109-110.

(2) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسومي الخوانساري الأصبهاني، الدار الإسلامية، بيروت، لبنان، 1991،ط1، ج7، ص 746.

(3) المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، محمد بن علي الصامل، دار كنوز إشبيليا الرياض، المملكة العربية السعودية، 1426هـ-2005، ط2، ص 57.

المبحث الأول:

علم الصرف في مفتاح العلوم

مفهوم علم الصرف :

إنَّ لغتنا العربية بحرٌ زاخرٌ بالدُّررِ، بها نزل القرآن الكريم وهي به محفوظة إلى ما شاء الله لها أنْ تكون ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[سورة الحجر،الآية:09]، ولها ثمار يانعة من المعارف والعلوم وكلَّ واحدةٍ منْ هذه العلوم يتناول جانب يُظهر من خلاله قوانين هذه اللغة، ويبرزُ نظامها البديع الذي تسير عليه فذاك هو(علم النحو) الذي يختصُّ بدراسة (التراكيب)، وعلم الصَّرف الذي يبحثُ في الألفاظ المفردة من جوانب متعددةٍ، ويعرف (بعلم المورفُولُوجْيَا).

لقد أُلفَ في علم الصّرف الكثير من الكتب قديما وحديثا مثل: «كتاب "الوجيز في التصّريف" لـ عبد الرحمن بن محمد الأنباري 577هـ، وكذلك "لامية الأفعال" قصيدة نظَمَهَا ابن مالك 672هـ و"الترصّيف في علم التصّريف" للعكبري 616هـ»[1].

الصرف لغة:

هناك العديد من العلماء الذين عرَّفُوا علم الصّرف واختلفُوا في آرائهم نحوه ومن ذلك عَرَّفه ابن منظور في معجمه "لسان العرب".

الصرف : «ردُّ الشيءِ عنْ وَجْهِهِ، صَرَفَهُ يَصْرِفْهُ صَرْفًا فَانْصَرَفَ ، وَصَارفَ نَفْسَهُ عن الشيء أي صَرَفَهَا عنْه وقوله تعالى :﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾[سورة التوبة، الآية:127]، أيْ رجعوا عن المكان الذي استمعوا فيه، وأيضًا في قوله تعالى: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [سورةالتوبة،الآية:127]، أي أَضَلَّهُم الله مُجازاةً على فعلِهِم؛ وصَرَفْتُ الرَّجُلَ عنِّي فانْصَرَفَ والمنْصَرِفُ قد يكون مكانًا وقد يكون مصدرًا، وقوله عزَّوجل:﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفا وَلَا

(1) ينظر، أساسيات علم الصرف، عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد، دار المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندرية، سنة 1999م، ط 2/ج 1، ص 18-19.

نَصْراً﴾ [سورة الفرقان،الآية: 19]، أيْ ما يستطيعون أنْ يصْرِفُوا عن أنفسهم العذاب ولا أن ينْصُروا أنْفُسَهُم»[1].

وفي قوله أيضا: «صَرْفُ الكَلِمَة إجراؤُهَا بالتَنْوين، نحو قوله تعالى:﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾[سورة الأحقاف، الآية:27]، أي بَيَّنَاهَا وتصْريفُ الآياتِ تَبيينُها»[2].

وقيل أيضًا الصّرف لغةً:«هو التصيير والتقليب من حال إلى حال وهو مصدر (صَرَفَ) ومعنى صَرَفَهُ: جعلَهُ يتَقَلَبُ في أَنْحَاءٍ كثيرةٍ وجهاتٍ مختلفة، فتصريف الأمور والرياح والسّحاب والقلوبِ يَعنِي تَحويلُها من جهةٍ إلى أخرى ومن حالٍ إلى حالٍ ومنها قول الله تعالى : ﴿اِنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الايٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾[سورة الأنعام، الآية: 46]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِے هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾[سورة الإسراء، الآية: 41]»[3].

ومن معانيه«الإنْفَاقُ؛ صَرفْتُ المالَ : أَنْفَقْتُهُ، وصَرَفْتُ الذَّهَبَ بِالدّراهِمِ : بِعْتُهُ، والصَّرْفُ: فَضْلُ الدِّرْهَمِ على الدِّرْهَمِ بجَوْدَةِ فِضَّةِ أَحَدُهُمَا، والصّرْفُ : التَوْبَةُ في قوله عليه الصلاة والسلام: «لاَ يَتَقَبَلُ اللهَمِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً»[4] والعدلُ الفِدْيَة، وصَرَفُ الدَّهْرِ: حَدَثَانُهُ، والجمع صُرُفُ الدَّهْرِ، والصَّرْفُ الزيادةُ والتحسينُ والتغييرُ.

صَرَفَهُ عن الشيءِ: رَدَّهُ عنه، وصَرَفْتُ الأَجِيرَ والصَبيَّ بمعَنَى خَليْتُ سبِيلَهُ: وصَرَفْتُ الكلام أي زَيَّنْتُهُ»[5].

---

(1)معجم لسان العرب لابن منظور، تح/عبد الله بن علي الكبير ـ هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، كورنيش نيل القاهرة، د.ت، ط 1، حرف الصاد ص 2434.

(2)المصدر نفسه، ص 2435.

(3)المستوى الثاني، المستوى الصرفي الصرف الوظيفي، تطبيقات وتدريبات في الصرف العربي، فهد خليل زايد، دار الصفوة، عمان العبدلي، عمارة الفاخوري، ، سنة 2011، ط 1، ص 17.

(4) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، د.ت، د.ط، ج2، ص 1366/463.

(5) علم الصرف، سميح أبو مغلي، دار البداية، عمان، سنة 1431هـ/ 2010م، ط 1، ص 07.

قد وردت مادة:«(صَرَفَ) في القرآن الكريم 30 مرةً ومن الاستعمال القرآني قوله تعالى:﴿سَأَصْرِفُ عَنَ اٰيٰتِيَ ٱلَذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِے ٱلَارْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[سورة الأعراف،الآية: 146]»[1].

الصرف اصطلاحا:

أما الاصطلاحي: «فهو العلم الذي تُعرفُ به كيفية صياغة الأبنية العربية وأحوال هذه الأبنية، فهو يدرسُ بُنية الكلمة العربية وتركيبها ووزنها والتغييرات التي تحدُث عليها من تصريفٍ وإعلالٍ وإبدالٍ وإدغامٍ قبل انتظامها في الجملة لتكون على وزنٍ خاص وهيئةٍ خاصةٍ.

يتناول علم الصَّرف المشتقات بأنواعها والميزان الصرفي والإعلالوالإبدال وغيرها»[2].

معناها أيضًا «علمٌ يُعْرفُ به صيغ اللفظة، وما يطرأُ عليها من تغير»[3]، أي تحول الكلمة من بناء إلى آخر أو إلى عدة أبنية مختلفة تُؤدي بهذا معاني مقصودة، وذلك مثل: كلمة (فَتَحَ) نُلاحظ تَغيُر الكلمة من الماضي إلى المضارع (يَفْتَحُ)،أو الأمر (افْتَحْ)،أوالمصدر (فَتْحًا)، أو تذكر اسم الفاعل (فَاتِحٌ)، أو المفعول (مَفْتُوحٌ)، أو صيغ المبالغة (فَتَّاحًا)،أو اسم الآلة (مِفْتَاحٌ) أو للمجهول (فُتِحَ)، أو هناك الكثير من الأمثلة غير هذه المتعلقة بعلم الصّرف[4].

(1) أساسيات علم الصرف، المرجع السابق ، ص 10.

(2)الصرف الميسر، رحاب شاهر محمد الحوامدة، دار صفاء، عمان، الأردن، سنة 1431هـ/2010م، ط1 ،ص 07.

(3)الصرف والنحو دراسة وصفية تطبيقية في مفردات برامج السنة الأولى الجامعية، لصالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، سنة 2013م، د ط، ص 12.

(4)ينظر : أساسيات علم الصرف، مرجع سابق ،ص 10.

هناك من يرى أن الصّرف والتّصْريف عند المتأخرين من العلماء أنَّه واحدٌ، أما سيبويه فقد فرق الصَّرف عن التّصْريف وعَرَّفهُ، بأنَّه «تحويل الأصلِ الواحدِ على الأمثلةٍ مختلفةٍ لمعانٍ مقصودةٍ لا تحصُل إلاّ بها»[1].

مفهوم الصَّرف عند الأقْدَمِين، وجدنا ابن جني: «يقتصرُ على تغيير شكلِ الكلمةِ أو صورتِها دُونَ أنْ يترَتَبْ على ذلك تَغَيُيرَ في قيمتها أو معناها الصّرفي، وذلك مثل تغيير (غَزَوَ) مثلا، وما يعرض الكلمة من زيادة أو حذف أو إعلال أونحوذلك من أي تغيير لا يفيد معنى جديدًا»[2].

أما الصّرف وفق مفهوم علم اللّغة الحديث «فيُعنَى فقط بدراسة الكلمات وصورها لا لذاتها وإنَّما لغرض معنوي، أي الحصول على قيم صرفية تُفيد في خدمة الجملِ والعباراتِ، وليس من الصّرف في علْمِ اللّغة الحديث تلك المسائل التي تُعنى بالنظر في الكلمة من حيثُ الزيادة والأصل والأوزان والأبنية وما إلى ذلك من تغيُرات لا تُعطي معاني أو قيمًا صرفيةً تَخدم الجملة والعبارة»[3]، وبناءًا على هذا المفهوم الحديث للصّرف فإنّ دراسة الصّرف لا تُعتبره هدفًا في حدِّ ذاته، وإنَّما هو وسيلة وطريقة من طرُق دراسة التركيب والنص اللّذين يقوم بالنظر فيها علم النحو. إذنْ فالصَّرف يُعدُّ مقدمةً للنحو أو خطوةً تمهيديةً لهُ [4].

(1)ينظر : المستوى الثاني المستوى الصرفي الوظيفي تطبيقات وتدريبات في الصرف العربي، فهد خليل زايد ،عمان سنة 2011، ط1، ص17.

(2) المرجع نفسه ، ص 17.

(3) علم الصرف ، مرجع سابق،ط1،ص 09.

(4)المرجع نفسه ،ص10.

علم الصرف عند السكاكي (القسم الأول من المفتاح) :

عرّف أبو يعقوب السكاكي علم الصّرف بأنه هو «**تَتبعُ اعتبارات الواضع في وضعهِ من الجهة المناسبة والأقيسة**»[1]، والوضع عند السكاكي لا يقتصرُ على النظر في مستويات الكلمات ومعانيها وهيئتها وهو مجال علمِ الصّرف والاشتقاق، وإنَّما يتجاوز ذلك إلى النظر في كيفية وضع التراكيب والجمل وصولاً إلى اللّغة حتى تتم الفائدة، وذلك يربالسكاكي أنَّ اللّغة وُضِعت لإفادة السامع، ولا تحملُ الفائدة في الكلمة الواحدة، فالكلمة عنده أصواتٌ مجموعة للدلالة على معنَى مفرد، وهي تدلُ عليه بالوضع والاشتقاق، ولا توجد علاقة طبيعية بين الكلمة ومعناها وإنّما هي علاقة وضعية اصطلاحية، وسمَّاها السكاكي بالدلالة الوضعية، "**لكن لا يخفى عليك أنَّ وَضْع اللّغة ليس إلاّ تحصيل أشياء مُنتشرةً تحت الضَّبطِ**"[2]، فالضَّبطُ هو الوسيلة الوحيدة الذي من شأْنه أنْ يجعل اللّغة أقربَ من الواقع لأنّه يزُيل عنْك الغُموض، وهذا من خلال تركيب تلك الحروف مع بعضها البعض في تشكيل هيئةٍمناسبة بمعنى مختلف تمكننَا من استبعاد معناه لدى القارئ.

مفردات علم الصرف في الكتاب:

قَسَّمَ السكاكي كتابه إلى ثلاثة أقسام أساسية، جعل "علم الصّرف" أول علمٍ يفتحُ به كتابه كونُه هو«**تتبعُ اعتبارات الواضع في وضعه من جهة المناسبات الأقيسة**»[3]، الذي يتناول الكلمة وما يجاورها من تغيرات، فقسمه إلى فصول وجعل الفصل الأول تعريفًا لعلم الصّرف والفصل الثاني سماه في كيفية الوصول إلى النوعين وهما معرفة الاعتبارات الراجعة إلى الحروف، ومعرفة الاعتبارات الراجعة إلى الهيئات ويندرجُ كلٌّ واحدٍ منهما في باب؛ الباب الأول

(1) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب ابن علي السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1407هـ/1987م،ط2،ص 10.

(2)المصدر نفسه، ص 10.

(3)المصدر نفسه، ص 10.

تحت عنوان "الاشتقاق وقوانينه" المندرجة في ستة فصول وهم كالتالي : النتائج الواجبة، النتائج الجائزة، النتائج غير المستمرة، مواضع الزيادة، مواضع البدل.

أما الباب الثاني سماه "معرفة الطريق إلى النوع الثاني وكيفية سلوكه" ضمنه اثنى عشر فصلا وعدها على النحوالتالي: الثلاثي المجرد، في هيئات المزيد، في هيئات في المصادر، في اسم الفاعل، في اسم المفعول، في الصفة المشبهة، أفعال التفضيل، اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة.

قد أَضَافَ فصلاً ثالثا وهي "أنواع الاحتراز عن الخط" في الكلمة، ودراسة السكاكي للكلمة المفردة ومعناها إلا للاحتراز عن الخطأ في المفرد والتأليف وضمانًا لسلامة اللّغة حال انتظامها في التركيب وتَعلُقها بغيرها من الكَلِمِ في الجملة، وبذلك يكون أساس اهتمام السكاكي هوالتركيب، ولقد ضَّمَنَ في فصله هذا ثلاثة عشر نوعًا وهي كالآتي : الإمالة، التفخيم، تخفيف الهمزة، الترخيم، التكسير، التحقير، التثنية، جمع التصحيح، النسبة، إضافة الشيء إلى نفسه، في اشتقاق ما يشتق من الأفعال، تصريف الأفعال مع الضمائر ونوني التأكيد.

خلاصة المبحث:

إنّ علم الصّرف يقتصرُ على بِنية الكلمة العربية ووزنها التغييرات التي تحدثُ قبل انتظامها في الجملة؛ لتكون على وزن خاص وهيئة خاصة، بل يتجاوز ذلك عند السكاكي وصولاً إلى اللّغة كوْنَها وُضعت لإفادة السامع ولا تحصُلُ الفائدة في الكلمة الواحدة، فالكلمة عنده أصواتٌ مجموعة للدلالة على معنَى مُفرد تدُلُ عليها بالوضع والاشتقاق ولاتوجد علاقة طبيعية بين الكلمة ومعناها، وإنَّما هي علاقة وضعية مضبُوطَةٌ تجعلُ اللُّغة أَقربَ منَ الواقعِ،إذنْ فدراسة الصّرف لاتعتبرُ هدفًا في حدِّ ذاته،وإنَّما هو وسيلة وطريقة من طرائق دراسة التركيب والنص اللذين يقومُ بالنظر فيها علم النحو.

المبحث الثانى:

علم النحو في مفتاح العلوم

مفهوم علم النحو:

يُعدُّ النّحو من المستويات اللّغوية التي يحتاجها كل من ينطق بالضاد كأداة تعبيرية لاسيما على المستوى الوظيفي، فإنَّه من المعلوم أنّ علم النحو يُعنى، بالنظر في أواخر الكَلِمْ وما يعتريها من إعراب وبناء، «كما يُعنى بأُمور أخرى على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية كالذّكر والحذْف، والتقديم والتأخير، وتفسير بعض التعبيرات لكنه يهتم بالإعراب أكثر»[1].

النحو لغة:

النّحو لغة معناه «"القَصْدُ نحو الشيء"، نَحَوْتُ نَحْوه، أي قصدتُ قَصْدَهُ وبَلَغنَا أنَّ أبَا الأسود وضع وجوه العربية، فقال للناس: انْحُوا نَحْوَ هذَا فسُميَ نَحْوًا، ويُجْمَعُ على الأَنْحَاءْ، والنَّاحِيةُ من كلِّ شيءٍ جَانِبُهُ.ويُقال : نَحَّيْتُهُ فَتَنَحَى، وفي لغةٍ نَحَيْتُهُ أَنْحَاهُ نَحْيًا بمعنى بَاعَدْتُهُ»[2].

قيل أيضا، النَحْوُ: «الطَّرِيقُ، والجهةُ. جمع أَنْحَاءُ ونَحْوٌ، ورَجُلٌ نَاحٍ من نُحَاةِ: نَحْوِيٌّ، وَنَحَا: مال على أحد شِقَّيْهِ، أو انْحَنَى في قَومِه وانحَنَى عليه ضَرْبًا: أَقْبَلَ؛ والانتحاءُ: اعْتِمَادُ الإبِلِ في سيرها على أَيْسَرِهَا،كالإنْحِاءِ: ونَحَاهُ: صَرَفَهُ.

نَحا اللَّبَنَ يُنْحِيه ويَنْحَاهُ: مَخَضَهُ والنَّاحيةُ والنَاحَاةُ: الجَانِبُ، وأَهْلُ المْنْتَحَاةِ القوم البُعَدَاءُ»[3].

(1) معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، المجلد الأول،دار الفكر، عمان، الأردن، 1432هـ/2011م، ط5 ،ج1، ص 05.

(2) معجم العين مرتبا على حروف المعجم لـ الخليل ابن أحمد الفراهيدي، تح: عد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 1424هـ/2003م ، ط1،ج4، ص 201.

(3) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تح: محمد نعيم العرقسوسيمؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، سنة 1426هـ/2005م، ط8 ، ص 1337-1338.

هذا ما يُستنتج من كلام اللغويين؛ يقول ابن فارس: النون والحاء والواو كلمة تدل على قَصْد...، ولذلك سُميَّ نَحْوُ الكلامِ؛ لأنَّه يَقصِدُ أصول الكلام فيتكلمُ على حسب ما كانت العرب تتكلمُ به[1].

كما يدلُ أيضًا كلام ابن منظور في لسان العرب؛ إذْ ذهب إلى هذا المعنى بقوله: "إعْرابُ الكَلاَمِ العَربيّ، والنَحْوُ : معناه القَصْدُ و الطريقُ، نَحَاهُ يَنْحُوهُ ويَنْحَاهُ نَحْوًا أو إنْتِحَاهُ ونَحوُ العربية مِنهُ إنَّمَا هو انْتِحَاءُ سَمْتِ كَلاَمِ العَرَبِ في تَصَرُّفِهِ من إعرابٍ وغيرِهِ، كالتثنية والجمع والتّحقير والتّكبير والإضافةِ والنسب وغير ذلك، لِيَلْحَقَ منْ ليسَ من أَهْلِ اللُّغة العربية بِأَهْلِهَا في الفَصاحةِ فيَنْطِقَ بها وإنْلمْ يكنْ مِنْهم، أو إنْ شَذَّ بعضْهم عنْها رُدَّ بهِ إلَيهَا، وهو في الأصلِ مصدرٌ شائعٌ أي نَحَوْتُ نحوًا كقولك قَصدْتُ قصْدًا، ثم خُصّ به انْتِحَاءُ هذا القبيل من العلم»[2].

إنَّ دراسة النحو أساس ضروري في الحياةالعلمية، في الفقه والتفسير والأدب والفلسفة والتاريخ وغيرها من العلوم، لأنَّكَ لا تستطيعْ أن تُدركَ المقصُود من نصٍ لغويٍ دُون معرفةٍ بالنظام الذي تسير عليه هذا اللُّغة إضافةً إلى كونِه ضرورةً فوق كُلِّ ضرورة تُعطي الموضوع نداوةً وطراوةً.

لقد جاء المفهوم الاصطلاحي للنحو عند النُحاة وخاصة المتقدمين منهم، ومن هؤلاء ابن سراج الذي يقول: «النحو إنَّما أُرِيدَ به أنْ يَنْحُو المتَكلمُ إذَا تعلمهُ كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون، فيه من استقراء كلام العرب حتى وقفوا على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللُّغة»[3].

(1)ينظر : معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، سنة 1392هـ/1972م، دط، ج5، ص 354.

(2)معجم لسان العرب مصدر سابق، – نقلا عن ابن جني –، ص 4371

(3)المدخل إلى دراسة النحو العربي ، علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط1، سنة2006 ، ص 48.

في هذا الإطار نفسه يُعرِّف ابن عصفور (علي ابن مؤمن) النحو قائلاً: «إنَّ النحو علم مُستخرجٌ بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب لمعرفةِ أحكام أجزائهِ التي تتألفُمنهُ"[1].

قد شاع في كُتب المتأخرين من النحويين وبخاصة التعليمية منْها، ومن ذلك قولُ الزجاجي (أبي القاسم عبد الرحمان بن إسحاق):«ويُسمَى النَحْوُ إعرابًا، والإعْرابُ نَحْوًا، سماعًا، لأنَّ الغرضُ طَلَبُ علمِ واحد»[2].

من بعد الزجاجي يقرر الفاكهي (جمال الدين عبد الله بن أحمد بن عبد الله) أنَّ النّحْوَ: «عِلمٌ بِأصولٍ يُعرفُ بها أحوالُ أواخرِ الكلمات إعْرابًا وبنَاءً»[3].

إلى أنْ يأتي الصَّبَانُ الذي جعل النّحو قِسم الصَّرفِ وعليه يُعرِّفُه بأنَّه: "علمٌ يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلمات إعرابًا وبناءً، وموضوعه الكلمة العربية من حيثُيعرض لها من الإعراب والبناء»[4].

يقول أيضا عبد القاهر الجرجاني: «إنَّ الألفاظ مُغلقةٌ على معانيها حتى يكون الإعرابُ هو الذي يفتحُها، وأنَّ الأغراض كامنة فيها حتى يكُون هو المستخْرجُ لها وأنَّه المعيار الذي يَتَبَيَّنُ نُقصان كلام ورجَحَانُهُحتى يُعرضَ عليه، والمقياس الذي لا يُعرفُ صحيحٌ من سقيمٍ حتى ترجعَ إليه، ولا يُنْكرُ ذلك إلا من يُنكر حِسَّهُ، وإلاَّ من غالط في الحقائق نفسه»[5].

(1)المدخل إلى دراسة النحو العربي، مرجع سابق، ص49.

(2)المرجع نفسه، ص 50.

(3) المرجع نفسه ص 51.

(4) المرجع نفسه، ص 51.

(5) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، 1424هـ/2004م، ط1، ص 96-70.

علم النحو عند السكاكي (القسم الثاني من المفتاح):

إنَّ علم النحو يختصُ بتراكيب الجملةِ التي هي المنبعُ الرئيسي في تأدية المعنى، وقد عرفه السكاكي بقوله : «**اعلم أنَّ علم النحو هو أنْتَنْحُومعرفة كيفية التركيب فيما بين الكلمْ لتأدية أصلِ المعنى مطلقًا بمقاييس مُستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبْنِية عليها، ليحْترزَ بها عن الخطأ في التركيب من حيثُ تلك الكيفية**»[1]، فهو جهاز لدراسة كيفيات تعلق الكلم بعضه ببعض، بقواعد وأحكام تقع تحت الضبطِ وتضمنُ سلامة تأدية أصلِ المعنى، ودراسة التراكيب في هذا الجهاز تفيد معاني أصلية ذات طرق ووجوه معلومة، في تشكيل قاعدة رئيسية في تحليل الكلام وهي معاني النحو وأحكامه.

مفردات علم النحو في الكتاب:

قسم السكاكي الجزء المتعلق بالنحو فصلين، استهل فصله الأول بالتعريف بعلم النحو عنده، حيث يهتم بضبط أواخر الكلمات حسب موقع كل منها في الجملة للاحتراز من اللحن أو الخطأ،حيث قال : «... **ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية**...»[2]، أما الفصل الثاني سماه ضبط ما يفتقر إليه في ذلك وضمنه ثلاثة أبواب؛ الباب الأول: في المقابل وهو المعرب وفيه ما لا يعرب ويسمى مبنيًا وهو قسمان؛ القسم الأول هو الذي لا يحتاج إلى عده واحدا فواحدا وجعله أربعة عشر نوعًا : **أولها** : الحروف،**ثانيها**: الأصوات المحكية على قول من لا يجعلها حروفًا. و**ثالثها**: أمثلة الماضي، والأمر، و**رابعها**: أسماء الأفعال (هيْهَات). و**خامسها**: المضْمَرَات. و**سادسها**: المبْهمَات. و**سابعها**: صدور المركبات (بعلبك وحَضْرَ مَوْتٍ). و**ثامنها**: الغايات وهي كل ما كان أصل الكلام فيه أنْ ينْطلق به مُضافًا، ثم يختزل عنه ما يضافُ إليه لفظًا لانيًا... و**تاسعها**: ما يتضمنُ معنى حرف الاستفهام

(1) مفتاح العلوم لأبي يعقوب ابن علي السكاكي، مصدر سابق، ص 75.

(2)المصدر نفسه، ص 75.

أو الجزاء ما عدا أيا، أو معنى غير ذلك. و**عاشرها**: ما كان على فعال، أما أمرًا نحو: حَذَار وتَرَاك. و**حادي عشرها**: ما أُضيف إلى ياء المتَكلم، أو إلى الجمل من أسماء الزمان كيوم فعل أو إلى إذ منها: كيومين وما شَاكل ذلك فيمن يبقى فيها. و**ثاني عشرها**: ما نودي مفردًا لمعرفة كنحو: يازيد. و**ثالث عشرها**: ما نُفيَ نَفْي جنسٍ مثل: لا رجل. و**رابع عشرها**: نحو يضربن من الأفعال المضارعة. ونوع **خامس عشر** وهي الجمل.

2- أنواع المعرب: هو هذا الحاصل من مبنيات الكلم وما خرج منه غير معرب وهو نوعان:

أ) – الصنف الأول: من الأسماء وهو يختص بالرفع والنصب والجر وهو صنفان:

أ)– الصنف الأول: صنف يقبل الحركات مع التنوين ويسمى منصرفًا.

ب) – الصنف الثاني: صنف لا يَقبلُ الحركات مع التنوين ويُسمى (غير منصرف) والوجه في ذلك هو أنّ هنا أمورًا تسعة تُميز أحدهما عن الآخر وتسمى أسباب منع الصرف:

أحدهما: التأنيث معنى أو لفظًا بالتاء أو بما يقول مقامهُ، كالآخر من المؤنث الزائد على ثلاثة أحرف.

ثانيها: العجمة وهي كون الكلمة من غير أوضاع العربية.

ثالثها: العدل وهو تغيير الصيغة بدون تغيير معناها.

رابعها: الجمع اللازم مثل مساجد مصابيح.

خامسها: وزن الفعل المختص بالأفعال.

سادسها: الألف والنون الزائدتان في باب فعلان فعلى مروان.

سابعها و**ثامنها**: الوصف والتركيب الظاهر مثل: ضارب.

تاسعها: العلمية وهي كون الاسم موضوعًا لشيء بعينه وقد عَدَّ بعض التحرير النحويين.

عاشرا: وهو ألف الإلحاق المقصودة إذا اقترنت بالعلمية.

3- وجها الإعراب خص به التوابع وهي على وجهين:

أ) – الوجه الأول: أنْ يكون بحيث لا يقبل إلا بعد أن يكون غيره قد قبله وهو من النوع الاسمي وهو خمسة أضرب تسمى التوابع وهي: صفة وعطف بيان ومعطوف بحرف وتأكيد وبدل.

ب) – الوجه الثاني: من وجهي المعرب منأنواع الاسميّوهو تسعة عشر ضربا، منها ما هو في الرفع ومنها ماهو في النصب ومنها ماهو في الجر كالفاعل كالمفعول والثالث كاسم مجرور.

أما القسم الثاني يحتاج إلى عَدِّه واحدًا واحدا أي بمعنى أتى بها واحدًا فواحدا حيث أدرج إذَا وإذْ والآن وأمسى وقط وفيه لغات، وعوض بالفتح والضم، وحَيثُ بالحركات الثلاث، وحُوت بمعناه بالضم والفتح، ولدن وأخواته الجمع إلا في لغة العين، ومنْ وما الموصوفتان، وما غير موصولة ولا الموصوفة وكم الخبرية وكأينْ وكأيْ، وكيت وزيت ولهى أبوك وأخواته وولت لا أفعل ولات.

تَطرقَ في الباب الثاني إلى العامل في الفاعل حيث قال : «**اعلمْ أنَّ الفعل عمله الرفعُ والنصبُ فقط، أما الرفعُ فلفاعلهِ**»[1]، وأضاف فصلاً لمطابقة الفعل لفاعله، وعهد إلى فصل آخر، أردف فيه قوله بفاعل أفعال المدح والذم كنعم وبئس، واسترسل بعدها إلى ذكر النواصب كالمفعول والتمييز، مشيرا إلى الأفعال التي تنصب مفعولا أو مفعولين، وقد خرج إلى ما اسماه بأنواع الحروف كالمجرورات بالحرف وهي على ضربين عاملةوغير عاملة وأضاف فصلا في ترخيم المنادى باعتبار أن الترخيم مقترن بالنداء قائلا : «**اعلمْ أنَّ الترخيم عندنا من خصائص المنادى، لا يجُوز في غيره إلا لضرورة الشعر، وإنْ حذف حرف النداء إنَّما يجوز في غير**

(1)مفتاح العلوم، مصدرسابق، ص 86.

أسماء الإشارة»[1]، وفصلاً في الاستثناء.كما ربط الحروف الجازمة منها ماهو لأمر ومنها ماهو للنهي ومنها ما هو للشرط والجزاء. بعدها انتقل إلى فصل نواصب الفعل وقسمة إلى تسعة أنواع منها ما ينصب ثم يرفع الحروف ومنها ما يرفع ثم ينصب الحروف. الأسماء الفاعلة فصل فيه الإمداد الجر بالإضافة، الفاعل المعنوي، الظروف، المبتدأ والخبر، ووقوع الفعل المضارع موقع الاسم وتوسع في كل نوع منها.

وصولاً إلى آخر باب في النحو وهو (في الأثر أي الإعراب) قال عنه السكاكي إنَّه: «**يتفاوتُ بحسب تفاوتِ القابل، فإذا كان آخر المعرب ألفًا لمْ يقبل الرّفع والنّصب والجّر إلا مقدرة. وإذا كان ياء مكسورًا ما قبله لم يقبل الرّفع والجّر إلا مُقدّرَينِ؛ هذا هو القياسُ**»[2]. كما خَصَصَ خاتمة للكتاب، في مقدمتين جمع فيها الفصول العشرة المنْدرجة تحت هذا الباب بعدها أطال الشرح والتفصيل في كلٍّ من هذه الفصول وأولاها عنايةً خاصةً، رتبها ترتيبًا دقيقًا يَسهلُ للباحث الوصول إليها. جاءت على النحو الآتي: **أولها**: في علة بناء ما بني من الأسماء، وما يتصل بالبناء من اختلافه (الحركات الإعرابية). و**ثانيها**: في علة امتناع ما يمتنع من الصرف وما يتصل بذلك، و**ثالثها**: في علة إعراب الأسماء الستة بالحروف المضافة. و**رابعها**: في علة إعراب المثنى والمجموع على ماهو عليه. و**خامسها**: في علة إعراب كلا وكلتا مضافين إلى الضمير على ما هو عليه. و**سادسها**: في علة إعراب نحو. و**سابعها**: في علة إعراب ما أعرب من الأفعال ووقوع الجزم في إعرابه موقع الجر في الأسماء، وكيفية ظهور واستكنانا وزيادة ونقصان. و**ثامنها**: في علة عمل الحروف العاملة وكيفية اختلافها في ذلك. و**تاسعها**: في علة عمل الأسماء غير الجر وكيفية اختلافها في ذلك. و**عاشرها**: في علة عمل المعنى الرفع للمبتدأ والخبر والفعل المضارع وبه ختم الكلام في هذا القسم.

(1)مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 103.

(2)مصدر نفسه، ص 137.

خلاصة المبحث الثاني:

تُعَدُّ دراسة النحو أساسًا ضروريًا في الحياة العربية، يحتاجها كلُّ من ينْطقُ بالضاد كأداة تعبيرية لاسيما على المستوى الوظيفي فعلم النحو عند السكاكي منْبعٌ رئيسي في تأدية المعنى وفق مقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الوقوع في الخطأ، فهو أداة يربط بين الوظائف الكلم وكيفية تعلق بعضه ببعض، لضمان سلامة تأدية أصل المعنى.

نستنتجُ أنّ علم النّحو هو العمود الذي تقُوم عليه هذه العلوم، لذلك فهو ذو أهمية كبيرة لأنّهُ؛ علمٌ دقيقٌ واسعٌ في نفس الوقت، حيثُ أنَّ هذه الأهمية لا تقتصرُ على أنّه مُجرد ضبط لأواخر الكلمات بمختلف العلامات الإعرابية من رفعٍ ونصبٍ وجرٍ كما يَعْتقُ الكثير؛ لأنّ ذلك وإنْ كان جزءًا أساسيًا إلى أنَّه ليس هو كُلَّهُ، إلاّ وكان للبلاغة شأنٌ في فهم المعنى وجلاء المعنى الظاهر من الخفي.

المبحث الثالث:

علم البلاغة في مفتاح العلوم

المبحث الثالث: علم البلاغة

نبذة عن البلاغة في مقدمة السكاكي:

البلاغة شأنها شأن الكثير من العلوم العربية، لم تنْشأ مكتملةً، بل كانت هناك إرهاصات تعتبر بواكير؛ ذلك أنّ البلاغة العربية مرت بأطوار متباينة قبل أنْ تستوي مستقلةً متميزة.

من هذه البواكير تلك الملاحظات النقدية في شكل استحسان تارةً وفي شكل استهجان تارةً أخرى؛ بحيث كنا نجد أنّ النابغة الذبياني تُضرب له قبةٌ بخاصة في مواسم الحج ليستمع إلى الشعراءِ فيرفع هذا ويضع ذاك متوكئًا على مقاييس لفظية ومعنوية وعلى الصورة الأدبية، وكثيرًا ما سمعنا عن حوليات زهير بن أبي سلمى الذي كان ينقح قصائده قبل عرضها، وعن محاكمة أم جُندُب التي راعت فيها الصورة الفنية بين المتباريين: امرؤُ القيس وعلقمة الفحل).

ثم جاء الحدَثُ العظيم – القرآن الكريم – الذي ارتقى بالبلاغة؛ ذلك أنَّه تحدى العربيّ في بلاغته، ما دعا بأحد أساطين البلاغة العربية أن يقول في القرآن: «والله إنَّ لقوله الذي يقول حلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنَّه لمثمر أعله، مغدق أسفله ، وإنَّهُ ليَعلُو ولا يُعلَى ، وإنَّهُ ليحْطمُ ما تحتهُ... »[1]،ومما زاد البلاغة تأسيسًا كثرة الأحزاب في العصر الأموي والفرق والطوائف، حيثُ كلٌّ ينتصرُ لطائفته وحزبه فيُنْشأ القصائد في المدح والهجاء، دون أنْ ننسى فن النقائض بين الجرير والفرزدق والأخطل.

في العصر العباسي دخل الأعاجم في الإسلام، فبرزت الحاجة إلى تركيز القواعد والأسس التي لمْ يكن العربيّ في حاجة إليها؛ لأنّه كان ينطق سليقةً، ومن هنا دعت الضرورة إلى التدوين حيث اتْسعت رقعة الدولة وكثرت العلوم وانتشرت الآراء النقدية، كل هذا دفع بالموهوبين من أبناء الأمة إلى الوصول إلى ما يمكن الوصول إليه من نظريات في البلاغة وتقعيدها وتقنينها.

(1) الموسوعة العربية، الوليد ابن المغيرة، المخزومي، اطلع عليه بتاريخ 22 ماي 2019، الساعة 10:55.

لعَلَّ من البداية التي نذكرها للبلاغة كانت مع الجاحظ وقُدامَة وأبي هلال العسكري، إلى أنْ بلغت ذُروتها مع عبد القاهر الجرجاني (374هـ) في كتابيه:(أسرار البلاغة في البيان، ودلائل الإعجاز في المعاني)، والكتابان يُعدانِ الأساس الذي أرسى عليه السكاكي (626هـ) قواعد القسم الثالث من كتابه مفتاح العلوم في البلاغة.

لمْ يَقتَصر السكاكي عليها في كتب الجرجاني، بل استدرك ما فات عبد القاهر، وتمم ما بدأه، ووضع القواعد التي جعلت من البلاغة علمًا ثابت الأصول؛ بحيث إنَّه اعتمد على العقل في استنباط القواعد، ذلك لسعة اطلاعه وتمكُنه من علوم المنطق والفلسفة، توقفت البحوث البلاغية، واقتصرت من بعده على عمل التلخيصات والاختصارات والشروحات[1].

مفهوم علم البلاغة:

البلاغة عند العرب وثيقة الصّلة بالأدب، إذ تُعرفُ بتأثيرها على قلب السامع أو القارئ وإثارة انفعاله وإحساسه بالمتعة، فهي تهدفُ إلى إرشاد الأديب إلى قولِ وكتابةِ نصٍ جيدٍ خالٍ من العيوب والأخطاء التوصيلية، «وما لبِثتْ شيئًا فشيئًا أنْ أصبحت علمًا مستقلاً واضح المعَالِم، فتَشعَّبت إلى علومها الثلاثة: علم المعاني، ويُعرف به ما يُلحق اللفظ من أحوال حتى يكون مطابقًا لمقتضى الحال، وعلم البيان، وتُعرفُ به الطُرق المختلفة لإيراد المعنى الواحد، وعلم البديع تُعرف به وجود تحسين الكلام»[2]. ولقد عرفت في معجم مقاييس اللّغة على النحو الآتي: البلاغة من «(بَلَغَ) الباء واللام والغين أصلٌ واحِدٌ وهو الوصُول إلى الشيء تقول بَلَغْتُ المكان، إذا وَصَلْتُ إليه، وكذلك البلاغة التي يُمْدَحُ بها فَصيحُ اللّسانِ، لأنَّهُ يبَلُغُ بها ما يريدهُ وَلِي في هذا بلاَغٌ أي كِفايةٌ، وقولهم بَلَّغَ الفارِسُ، يُراد به أنَّه يمدُّ يدهُ بِعنَانِ فَرَسِهِ ليزيدَ فيعَدْوِهِ»[3].

(1) ينظر، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص أ.ب.ج.د.

(2) الموسوعة الثقافية العامة، علوم البلاغة راجي الاسمر،ا دار الجيل، بيروت، سنة 1426هـ/ 2005م ، دط، ص 05.

(3) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، سنة 1392هـ/1972م،دط، ج5، ص 201-202.

ومنه «بَلَّغْتُ الرِّسالة، والبَلاغُ: الإبْلاغُ. وفي التنزيل :﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [سورة الجِنّ،الآية :23]أي لا أجِدُ منْجًى إلاَّ أن أُبْلِغَ عن اللهِ ما أُرْسِلْتُ به والإبْلاَغُ، الإيصَالُ، وكذلك التَّبْلِيغُ، والاسم مِنْهُ البَلاَغُ، وَبَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ.

والبِلَغْنُ: الذي يبلغ للناس بعضهم حديث بعض وتبلغ به مرضه : اشْتدَّ»[1].

البلاغة اصطلاحا:

لقد عَرَّف البلاغة العديد من العلماء واختلفوا في تعريفها من بينهم العسكري قائلاً: «البلاغة كُلُّ ما تبلغُ به قلب السَامعِ، فتُمَكِّنُهُ من نفسك كتمكُّنِه، مع صور مقبولة ومعرض حسن»[2].

فالبلاغة تمدُنا قوةً وتأثيراً وحُسْنًا، ثم دِقّة في اختيار الكلمات والأساليب، على حسب مواطن الكلام وموضوعاته وحال السامع والنزعة النفسية والأدبية التي تتمَلكهُ وتُسيطرُ علىنفسه "فَرُبَ كلمةٍ حسُنت في مواطن، ثم كانت مسُتكْرهةً في غيره، وَرُبَ كلامٍ كان في نفسه حَسَنًا خَلاَبًا حتى جاء فيغير مكانه، وسقط في غير مسْقطه، خرج من حَدِّ البلاغة وكان غرضها لسهام الناقدين»[3].

من أدقَّ التعريفات للبلاغة قول السكاكي: «**هي بُلُوغ المتكَلِّمِ في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التَّراكيب حقها وإيرادُ التَّشبيه والمجاز والكناية على**

(1)لسان العرب، مصدر سابق، ص 346.

(2) المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، إنعام قوَّال عكَّاوي مراجعة أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 268.

(3)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار الحياد التراث العربي، بيروت، لبنان، ط12، ص 34.

وجهها»[1]. وبهذا التعريف نَلحظ السكاكي قد أخرج مباحث علم البديع لأنّ وجوده يؤتى به وبهذا التعريف لتحسين القول والمحسنات اللفظية عنده لست من البلاغة.

أما القزويني رأى أنَّ البلاغة تكمن في بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ؛ بينما البلاغة في الكلام مرجعها هو الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد بطُرق مختلفة مع مراعاة مطابقة الكلام لمقتضى الحال[2].

تُعرفُ البلاغة بتأثيرها على فؤاد السامع أو القارئ، وإثارة انفعاله وإحساسه بالمتعة، فهي تهدف إلى إرشاد الأديب إلى كتابة نص أو إلقاء خطبة جيدة خالية من العيوب والأخطاء، والبيان هو أحد علوم البلاغة العربية وأشدّها اتحادًا بمباحث النقد الأدبي وأقربُها إلى الأصول الفنية التي تعتمد على الذوق الجمالي.

البيان لغة «الكَشْفُ والتوضيحُ والظهور؛ وقد يُستعمل بمعنى الإثباتبالدليل»[3]. وفي معجم العين هو «الشيءُ المعْروفُ ومنه: بَانَ الشيءُ وأَبَانَ وتَبَيَّنَ وَبَيَّنَواسْتَبَانَ، والمجاوز يستوي بهذا.

البَيِّنُ من الرِّجالِ أي الفصيحُ، وقيلَ: رَجُلٌ بَيِّنٌ وجَهِيرٌ، إذاً كان بين المنطق وجهيرَ المنطق»[4].

هو اصطلاح عبارة «عن المنطق الفصيح المعبِّر عما في الضَمير. والبيانُ عند البلاغيين: «هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد، بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض، وهو الذي يُحْتَرَزُ به عن التعقيد المعنوي»[5].

---

(1) المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، إنعام قوال عكَّاوي، 1417هـ -1996م دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1471هـ، ط2، ص 269.

(2)ينظر: المعجم المفصل، ص 269.

(3)معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، الطبعة الثالثة، دار المنارة، جدّة، سنة 1408هـ/1988م، ص 97.

(4)معجم العين، مصدر سابق، حرف الباب، ط1، ج1، ص 176.

(5)معجم البلاغة العربية، مصدر سابق، حرف الباء، ص 97.

سُمّي بعلم البيان «لأنّه يُعْرف به اختلاف طرق الدلالة في الوضوح والبيان، ومثال ذلك "باب الكناية" أن يُقال في وصف "زيد بالجود" نحو زيد مهزول الفصيل، وزيدٌ جبان الكلب، وزيد كثير الرّماد فهذه التراكيب تفيد وصفه بالجود على طريق الكناية، لأنَّ هزال الفصيل إنّما يكون بإعطاء لبن أمه للأضياف. وجبن الكلب لكثرة الأضياف فلا يعادي أحدًا، ولا يتجاسر عليه، وهو معنى جبنه. وكثرة الرّماد من كثرة الإحراق للطبائخ من كثرةالأضياف»[1].

منهذا السياق اتضح أنّ علم البيان يُطلق على معنيين:

أولا: المعنى الأدبي:

هو أوسع يضُم الإفصاح عن كُلِّ ما يدور في النفس من معاني وأفكار ومشاعر بأساليب في غاية الدِقّة والإصابة والوضوح المغَلَّفة بالجمال. وبهذا التعميم فهو يشملُ فنون البلاغة الثلاثة: البيان والمعاني والبديع.

ثانيا: المعنى العلمي المحدود:

هو التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة كالحقيقة أو المجاز أو الكناية[2]. وقد حصر البلاغيون أصول علم البيان في أربعة أصول هي:«

1- أصلان ذاتيان، وهما المجاز والكناية.

2- أصل واحد وسيلة، وهو التشبيه.

3- أصل واحد، جزء من أصل، وهو الاستعارة»[3].

(1)ينظر:المصدر نفسه، ص 97-98.

(2)ينظر: المصدر نفسه، ص 99.

(3)ينظر : معجم البلاغة العربية، مصدر سابق ، ص 99.

(3) المرجع نفسه، ص 99.

الواقع أنّ البلاغة العربية قد مرت بتاريخ طويل من التطوّر حتى انتهت إلى ما انتهت إليه، وكانت علُومها مختلطة ببعض من نشأة الكلام عنها في كُتب السابقين الأولين من علماء العربية، والبيانُ أسلوبٌ مهمٌ ليعبِّر الإنسان عن أفكاره بطريقة تصويرية تهدفُ إلى رسم صورة مؤثرة عن النفس والفعل معًا، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ٢﴾[سورة الرحمن، الآية: 02].

قد ورد علم البيان في كتب بعض المتكلمين ممن اخْتَصُوا بدراسة بلاغة القرآن وأسرار إعْجَازِه، بالإضافة إلى دراسات نقدية على أسس بلاغية تعرض فيها أصحابها إلى مباحث في هذا لعلم ومن بينهم:

قول ابن زيد: البيان هو الإيضاح والإبانة وهو الذي فصل به الإنسان على سائر الحيوان.

قال قتادة "هو بيان الحلال والشرائع، وهذا جزء من البيان العام".

قال الضحاك: "هو الخير والشر".

قال ابن جريح: "هو الهُدى"[1].

قارن الجاحظ بين تعريف «جعفر بن يحي للبيان والأصمعي للبليغ؛ بأن كلمة (البيان) مرادفة لكلمة (بلاغة) فقد كانت كلمات البلاغة والفصاحة والبيان والبديع ألفاظا ذات مدلول واحد مع اختلاف طفيف بين الكاتب وآخر»[2].

(1) ينظر: المستوى البلاغي البيان والبديع وعلم المعاني، فهد خليل زايد، المستوى الرابع ، دار الصفوة، العبدلي، عمان، سنة 2011م، ط1، ص 15.

(2) البلاغة بين البيان والبديع، فهد خليل زياد، الطبعة الأولى، دار يافا العلمية، عمان،الأردن، سنة 2009، ص 12/11.

علم البيان عند السكاكي:

أما علم البيان فقال عنه أنّه: «**معرفة إيراد المعنى الواحد في طُرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنُقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمَام المراد منه**»[1]، وهذا التّعريف يحصر مباحث العلم في «دائرة الصّياغة الأدبية التي تتجاوز دائرة المواضعة"،[2] معنى هذا أن تغير الأبنية في علم البيان إذا ما اختص بالتشكيل السطحي، فإنه لا يقدم نتيجة متغيرة، بل التغيّر الحقيقي يكمن في البنية العميقة؛ وعلى هذا الأساس فإن السكاكي يحصر الناتج الدلالي في مستوى العميق. الذي يتم من خلاله التحوّل من معنى إلى معنى آخر»[3].

مفردات علم البيان في الكتاب:

خصَّالسكاكي البيان في الفصل الثاني وقسمه إلى مجموعة أقسام أساسية، وقسم هذه الأقسام بمجموعة من الفروع وقسم بعض هذه الفروع إلى مجمعة من الشعب، وذلك بأنّ قَسَّم البيان ثلاثة أصول وهي: التشبيه والمجاز والكناية ثم أخذ في تقسيم كل أصلٍ من هذا الأصول بطريقة خاصة قسَّم أصل الأول وهو التشبيه إلى أربعة أنواع وهي: طرفَا التشبيه، وجه التشبه، الغرض من التشبيه، أحوال التشبيه. أما الأصل الثاني وهو المجاز فقد قسمه إلى مجموعة من الفصول الفصل الأول: (المجاز اللغوي) غير مفيد. وسمَاه مجاز التعدية الفصل الثاني :المجاز اللغوي المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه،وهو مايسمى بالمجاز المرسل، الفصل الثالث : المجاز الراجع إلى المعنى المفيد المتضمن المبالغة في التشبيه وهو الاستعارة، الفصل الرابع : المجاز العقلي، الفصل الخامس: المجاز اللغوي الراجع إلى حكم الكلمة، ويأخذ السكاكي في بيان أقسام الاستعارة التي هو فصل من فصول المجاز، ويذكر لها ولأنواعها أمثلة كثيرة؛ وينتقل إلى الأصل

(1)مفتاح العلوم، مصدر سابق ،ص 162.

(2) البلاغة العربية، قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، ، مكتب لبنان، بيروت، لبنان، 1997م، ط1، ص 128.

(3)ينظر: المرجع نفسه،ص 129.

الثالث وهي الكناية ويعرّفها: «**بأنّها ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، ثم يفرق بين الكناية والمجاز ويقسم الكناية بحسب المراد منها إلى ثلاثة أقسام : كناية عن موصوف، كناية عن صفة، وكناية تدور على تخص الصفة بالموصوف، ويلاحظ أنها تدخل في الإسناد**»[1].

مفهوم علم المعاني:

يُعتبر علم المعاني فرعًا من فروع علم البلاغة الثلاثة (المعاني، والبيان والبديع) ويختصُّ بدراسة المعاني والأفكار،«فهو العلم الذي يعرفُ به أحْوالُ اللفظ العربي التي بها يُطابقُ مُقتضى الحال، وأصل علم المعاني نظرية النظم التي وضعها عبد القاهر الجرجاني التي تقُوم على تعليق الكلام بعضه على بعض، ويقول: إنّه تَوخِي مَعَانِي النحْو"[2].

قيل أيضًا هو «العلم الذي يؤدي به الكلام حتى يكون مطابقا لمقتضى الحال من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وفصل ووصل، وتعريف وتنكير، وقصر والإيجاز والإطناب»[3]، وقد أثر فيه بعض البُلغاء كأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكناني المتوفسنة (255هـ) وهو إمام الأدباء وسلطان المنشئين في عصره وقد أشار في كتابه البيان والتبيين بدراسة بعض القواعد كبيان معنى الفصاحة والبلاغة، وحسن البيان والتخلصّ من الخصم [4]. وعلى هذا فإنَّ علم المعاني يُعدُّ أحد الأركان الأساسية التي تُشَكِلُ بناء البلاغة العربية وعمودها، فإذا كان علم البيان يتتبع ورود المعنى الواحد في طرق مختلفة، وذلك عن طريق الاستعارة والكناية وغيرها

(1)مفتاح العلوم، مصدر سابق ،ص 402.

(2) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تأليف الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،دط، دس، ص 15.

(3) المستوى البلاغي البيان والبديع وعلم المعاني، فهد خليل زياد المستوى الرابع، دار الصفوة، العبدلي، عمان، سنة 2011م، ط1، ص 154.

(4)ينظر: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007م، ط4، ص 07.

ليحترز بالوقوف عليها من ذلك الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه[1]، فإنَّ علم المعاني يتخذُ التركيب مجالاً لبحثه؛ فهو يتناول بنية الجملة العربية وتشكيلها وما يَعْتَرِيهَا من إثبات ونفي واستفهام، وما تقدِّمه وحداته المجتمعة من معنى، سواء كان ذلك عن طريق التقديم أوالتأخير، أو الفصل والوصل أو غيرها من الأساليب.

فعلم المعاني إذا يتناول صميم الأسلوب العربي وطُرقِهِ المختلفة في إيصال المراد إلى المتلقي.

علم المعاني عند السكاكي:

علم المعاني فرع من فروع علم البلاغة الثلاثة (البيان المعاني البديع)، وهو يهتم بدراسة طبيعة ألفاظ اللغة العربية التي تتلائم مع الحال المرتبطة به، حيث عَرَّفه السكاكي بأنّه: «**تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره**»[2]

هذا المفهوم لا يقتصرُ على البحث في كلِّ جملة مفردة على حِدةٍ، ولكن يمدُّ نطاق البحث إلى علاقة كُلِّ جملة بأخرى، ثم قال: وأعني بالتراكيب تراكيب البلغاء، ومعرفة البليغ متوقفة على معرفة البلاغة، وقد تضمن: الإيجازوالإطناب والفصل والوصل حسبما يقتضيه مثل الاستعارة والمجاز المرسل والتشبيه والكناية[3].

(1)ينظر: مفتاح العلوم،مصدر سابق، ص 161.

(2)المصدر نفسه، ص 161.

(3)ينظر:مصدر نفسه، ص 23.

مفردات علم المعاني:

أما القسم الثالث فخصّ به علم المعاني وعلم البيان، وألحق بهما نظرة في الفصاحة والبلاغة، ودراسة للمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، ووجد السكاكي أنَّ علم المعاني يحتاج إلى من ينظر فيه، وقوفًا على الحدِّ والاستدلال أو بعبارة أخرى علم المنطق ففتح له مبحثًا أحاط فيه بمسائله كما وجد أيضًا أنّ من يدرس علمي المعاني والبيان يحتاج إلى الوقوف على علمي العروض والقافية فأفرد لهما المبحث الأخير في الكتاب، وبذلك اشتمل المفتاح على علوم الصرف والنحو والمعاني والبيان والمنطق والعروض والقوافي، ونراه يصور في تقديمه للكتاب طريقته في تصنيفه فيقول: « **وما ضمنت جميع ذلك كتابي هذا إلا بعدما ميزت البعض عن البعض، التمييز المناسب، ولخصت الكلام على حسب مقتضى المقام هنالك، ومهدت لكلٍ من ذلك أصولاً لائقة، وأوردت حججا مناسبة، وقررت ما صدقت من آراء السلف قدس الله أرواحهم، بقدر ما احتملت من التقرير، مع الإرشاد إلى ضروب مباحث قلَّتْ عناية السلف بها، وإيراد لطائف مفتنة ما فتق أحد بها رتق إذن**»[1]، ولعلَّ أول ما يستدعي انتباه القارئ أنه أودعَ البلاغة علمين أساسيين (علم المعاني وعلم البيان) وجعل علم البديع تابعًا لهما، فقد عرف علم المعاني فقال: «**أعلم أنّ علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز الوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكر**»[2]، ومن هذا التعريف وضع لعلم المعاني منهجه المحدد وأبوابه المعروفة. وقد بدأ بتوزيع مباحث المعاني

(1)مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 06.

(2)المصدرنفسه، ص 161.

على الخبر والطلب ويعرض لمن عرّف الخبر: «**بأنَّه ما يحتمل الصدق والكذب**»[1]، ويقول إن ذلك الشيء واضح معروف.

فهما يجريان فيه ولا يجريان في الطلب، وهو الاستفهام والتمني والأمر والنهي والنداء، ثم يأخذ السكاكي بعد ذلك بتوضيح الموضوعات التي سيتناولها الخبر أو الجملة الخبرية وهو الإسناد الخبري والمسند إليه، والمسند والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب ثم يفصل الحديث عن الإسناد الخبري واختلافه باختلاف السامع ويسمى الخبر في تلك الأحوال على الترتيب ابتدائيًا وطلبيًا وإنكاريًا.

يقول السكاكي: «**والذي أريناك، إذا أَعْملْتَ فيه البصيرة، اسْتوثَقتَ من جواب أبي العباس للكندي حين سأله قائلاً: إني أجد في كلام العرب حشوًا يقولون: (عبد اللهِ قَائِم)، ثم يقولون: إنّ عبد الله قَائِم، ثم يقولون: إن عبد الله لقَائمْ، والمعنى واحدٌ، وذلك بأن قال: بل المعاني مختلفة فقولهم، عبدُ الله قائمٌ، إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبد اللهِ قائمٌجواب عن سؤال سائل، وقولهم: إنّ عبد الله لَقائمٌ، جواب عن إنكار منكر قيامه**»[2].

يخرج إلى أحوال المسند إليه في مبحث مُفصل كبير يتحدث فيه عن حذف المسند إليه وذكره وتعريفه ووصفه وتنكيره وتقديمه على المسند وتأخيره عنه وتخصيصه والمقتضيات البلاغية لكل ذلك. وينتقل إلى المسند وتصوير الاعتبارات في كيفياته محذوفًا مذكورًا ومفرداً وجملة فعلية أو اسمية أو معرفًا أو منكرًا أو مفيدًا بقيد أو مقدمًا ومؤخرًا.

يعقد السكاكي فصلا للفعل ومتعلقاته في الترك والإثبات أو في الحذف وذكر ويبدأ بحذف الفعل في بعض الصيغ ويقفُ عند حذف المفعولقصد التعميم أو الاختصار، ثم

(1)المصدر نفسه، ص 164.

(2)مفتاح العلوم،مصدر سابق، ص 171.

ينتقلُالسكاكي إلى الفصل والوصل ويذكر صورة من النثر والشعر ويأخذ في تفصيل هذه الحالات المقتضية للقطع والاستئناف ولكمال الانقطاع وكمال الاتصال بعدها يفتح بابًا للإيجاز والإطناب يستهله بأنهما نسبيان فقد يكون ظاهر الكلام مطنبًا وهو موجز وذكر أمثلة للإطناب والإيجاز.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى القصر ويقول: «**إنَّه تخصيص موصوف بوصف دون ثانٍ، كقولك: زيد شاعر لا منجم، لمن يعتقده شاعرًا ومنجمًا**»[1]، وتحدث عن طرق القصر وذكر أنها أربعة: العطف بلا وبل والنفي والاستثناء والتقديم.

ثم بعد أنْ انتهى إلى الطلب، وكتب له مقدمة طويلة استمدها من كلام المناطقة، وقسم الطلب إلى خمسة أنواع هي: التمني، الاستفهام، النهي، الأمر والنداء وتحدث عن الألفاظوالأدوات الموضوعة لكلٍّ نوع، وأنّها قد تخرجُ للدلالة على معان مع الاستشهاد بأمثلة كثيرة من القرآن وغيره.

هكذا حصر السكاكي مباحث علم المعاني، فإذا فرغ منها انتقل إلى مباحث علم البيان.

مفهوم علم البديع:

يُعتبر علم البديع أحد أهم فروع علوم البلاغة في اللغة العربية الذي يختصُّ في تحسين أوجه الكلام، حيث يحرص على التألُق في التعبير واختيار الألفاظ المناسبة، لتُفْضِي جمالا على سياق الكلام والمعنى اللغوي لمصطلح البديع: «هو المْحْدَثُ العَجِيبُ والبَدِيعُ المبْدَعُ وأبْدَعْتُ الشيءَ أي اخترته وهو من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبلكل شيء كما قال سبحانه وتعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰت وَالَارْضِۖ﴾[سورة البقرة، الآية:117].

(1)مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 288.

أي خَالقُهما ومُبدِعُهما فبَدِيعٌ على وزن (فَعِيل) بمعنى فاعل مثل: قدير بمعنى قادر وهو صفة من صفات الله تعالى، ونقول: المبْتَدِعُ والمبْتَدَعُ وشيء بَدْعٌ أي مُبْتَدَعٌ، وأَبدَعَ الشاعر أي جاء بالبَدِيعِ»[1].

أما في الاصطلاح هو «علمٌ يبحثُ في طرق تحسين الكلام، وتزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي والمعنوي، وسميَّ بديعًا لأنّه؛ لم يكن معروفًا قبل وضعه، وأول من دَوَّنَ قواعد البديع ووضع أصوله، عبد الله بن المعتز، وهو أحد الشعراء البلغاء»[2].

وعرفه بعضهم بأنه «فن من فنون القول على ما أحدثه الشعراء المولدون من أساليب بيانه»[3]، وقد قسموا مباحث هذا العلم إلى قسمين:

1- المحسنات المعنوية: (الطباق، المقابلة، التورية، الإرصاد، مراعاة النظير، حسن التعليل) يعتمد الجمال فيها على المعنى.

2- المحسنات اللفظية: (الجناس، السجع، الموازنة، التضمين، الاقتباس) وهنا يرتكز فيها الجمال على اللفظ[4].

إذا فالبديع علم يعرف به تحسين الكلام، من حيث الألفاظ ووضوح الدلالة على نحو يكسب التعبير نوعًا منا الطرافة والحدةِ.

البديع عند السكاكي:

لم يول السكاكي اهتمامًا كبيرًا بعلم البديع الذي يختص في تحسين أوجه الكلام اللفظية والمعنوية، بل اعتمد في ذلك إلى تقسيمه إلى ضربين: «ضرب يرجع إلى المعنى وضرب يرجع إلى اللفظ، أما المعنى فهو ما يعرف بالمحسنات المعنوية وهي التي يكون التحسين بها راجعًا إلى

(1)معجم لسان العرب، مصدر سابق، ج1، باب –ب–د–ع، ص 230.

(2)الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، مصدر سابق، ص 05.

(3) البلاغة بين البيان والبديع، مرجع سابق، ص 163.

(4)ينظر: المرجع نفسه، ص 165.

المعنى، وأما للفظ فهو يختص بالمحسنات اللفظية حيث يكون التحسين فيها راجعًا إلى أصالةِ اللفظ»[1].

مفردات علم البديع في الكتاب:

اكتفى بذكر أنواع منه مع أمثلة قليلة، أما المحسنات المعنوية التي وقف عندها هي: المطابقة، المقابلة، المشاكلة، ومراعاة النظير، والمزاوجة واللّفُ والنّشرُ والجمع والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والإبهام، وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتوجيه، وسَوْقِ المعلومِ مساقَ غيره، والاستتباع، والاعتراض، والالتفاف، وتقليل الفظ.

أما المحسنات اللفظية فهي: التجنيس والاشتقاق ورد العجز على الصدر والقلب والسجع والترصيع وذكر لكلٍّ منْها أمثلة، وبذلك يتمُ تلخيصَ السكاكي كَلَّ مِنْ علوم المعاني والبيان والبديع وألحقهُم بالمحسنات البديعية.

(1) الميسر في البلاغة العربية (علم البيان، علم المعاني، علم البديع)، ابن عبد الله، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، دس، ص 265.

خلاصة المبحث الثالث:

تنْفردُ البلاغة كَوْنَهَا علمًا واسع المعالِم ، بحيثُ تكمنُ بلاغة الكلام في بلوغها إلى قلب السامع، وذلك لا يتمُ إلا باختلاف الكلمة ووظيفتها في التركيب، ويَختلف باختلاف المعنى، فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فالسكاكي أولى اهتمامًا بالغًا بعلمي المعاني والبيان وبخاصة علم المعاني كونُه يُعَدُّ أحد الأركان الأساسية التي تُشكلُ بناء البلاغة العربية وعمودها؛ فإذا كان علم البيان يتتبع ورود المعنى الواحد في طرق مختلفة من بنية سطحية وعميقة كما سماها، ليحترز بها عن الوقوع في الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه ؛فإنَّ علم المعاني يتخذُ التركيب مجالاً لبحثِه فهو يتناول بُنية الجملة العربية ،كما أنّهُ لم يول اهتمامًا بالغًا بعلم البديع كونَهُ يهتمُ بتحسين أوجه الكلام اللفظية والمعنوية.

منْ خلالِ الملخصات الثلاثة بدت لنا العلاقة وثيقة بين علم الصّرف والنحو والبلاغة، فأين تكمُنُ هذه العلاقة من خلال المفتاح؟ ذلك ما سنتناوله.... في المبحث الرابع...

المبحث الرابع:

العلاقة بين هذه العلوم

العلاقة بين النحو والصرف:

تساءلنا مبدئيًا لمَ جمع السكاكي بين علم الصّرف والنحو والبلاغة باعتبارها علم الأدب، ومن هنا حاولنا الوقوف على العلاقة بين هذه العلوم.

بدايةً أدخل السكاكي هذه العلوم الثلاثة فيما أسماهُ علم الأدب؛ ذلك أنّه يرى أنَّ علم الأدب عدة أنواع تبدأ من علمي الصّرف والنحو ثم تتوسع إلى علمي المعاني والبيان (علم البلاغة) ولعلَّ هذا ما يجعلُنا نقول؛ إنَّ السكاكي يرى أنَّ هذه العلوم منشؤها الاحتراز من الخطأ في بناء النص، ما جعل الدكتور محمد العمري يقول: «الأدب يساوي عنده – السكاكي– في نظرنا الخطاب السليم الناجع »[1].

منْ خلالِ قراءتنا وجدنا أنّ السكاكي يجمعُ بين هاته العلوم باعتبارها علم أدب، الذي لا يكتمل صَرحهُ إلاّ بعلم الصّرف بتمامه، وتمام علم الصّرف بعلم الاشتقاق، وعلم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان؛ ذلك أنَّ علم البلاغة هو امتداد لعلم النحو باعتبار أنَّ النحو هو دلالات وظيفية سطحية والبلاغة هي دلالات عميقة، فكل أبواب علم النحو نجد لها ما يقابلها في علم البلاغة من: مسند ومسند إليه، نهي، أمر، استفهام، تقديم وتأخير.

هذا ما يشيرُ إليه السكاكي، والوضعُ عند السكاكي لا يقتصرُ على النظر في مستوى الكلمات ومعانيها وهيئاتها وهو مجال علم الصّرف والاشتقاق، وإنَّما يتجاوز ذلك إلى النظر في كيفية وضع التراكيب والجمل وصولاً إلى اللّغة حتى تتم الفائدة في الكلمة الواحدة، فالكلمة عنده أصوات مجموعة للدلالة على معنى مفرد، وهي تدلُ عليه بالوضع والاشتقاق.

(1) البلاغة العربية أصولها وامتدادها، محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ط2، ص 469.

في خِضمِ كلامنا عن العلاقة بين هاته العلوم (صرف، نحو، بلاغة) نَشرعُ في استخراج بعض العلاقات كما بدتْ لنا من خلال المفتاح ونُشير إلى تعريف السكاكي لها، إذْ يقول في الصرف: «**هو تتبعُ اعتبارات الواضع في وضعه من الجهة المناسبة والأقيسة**»[1] من الواضح هنا أنّ السكاكي يُشير إلى الكلمة في وضعها عند واضع اللّغة في خضوعها لأقيسة وأوزان مناسبة تُفضِي إلى فِعْلِيتِها باعتبار مثلاً: فَعِلَ، فَعُلَ، فَعَلَ، وباعتبار أزمنتها وبالنظر إلى اسميتها منْ حيثُ كوْنها مصدرًا أو اسم فاعل أو مفعولاً أو صفة مشبهة...، أو بالنظر إلى حرْفِيَتِها منْ حيثُ هي حروف يتكون منها الوضع (الكلمة).

يُضيفُ السكاكي قائلاً: «**لكن لا يَخفى عليك أنَّ وضع اللّغة ليس إلاّ تحصيل أشياء منتشرة تحت الضبط**»[2].

الحاصلُ من نصّي السكاكي أنّ الوضع وضعانِ؛ وضع لهيئة الكلمة باعتبار تركيب حروفها وهو مجال الصّرف منْ اشتقاق وغيره، ووضع للتراكيب والجمل وصولاً إلى اللّغة، لقول السكاكي وضع اللّغة لتحصيل أشياء منتشرة تحت الضبط؛ ضبط صيغي وزني يخْتَصُّ به علم الصّرف وضبط وظيفي يَختصُّ به علم النحو، وضبط دلالي باعتبار السياق تَخْتصُّ به البلاغة[3].

يقول أبو الفتوح شريف: « إنَّ علم الصرف يهتمُ في ضبط الكلمة قبل آخرها، حيثُ يهتمُ علم النحو بضبط أواخر الكلمات حسب موقع كلٍّ منهما في جملتهِ »[4]، وتدُور مباحثُ هذه العلوم حول التغيير الّذي يَحدثُ في الكلمة العربية، إلاّ أنَّ النحو يبحثُ فِيمَا يلحقُ الحرف الأخير من إعرابٍ أو بناءٍ، ويبحثُ الصّرف في التغيير الذي يلحقُ بُنية الكلمة بعيدًا عنْ حرف الإعراب لغرض معنوي أو لغرض لفظي؛ فإذا بحث الصّرف في مجيء « الماضي، المضارع والأمر

(1) مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 10.

(2) المصدر نفسه، ص 10.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 10.

(4) نظرية وصفية في تصريف الأفعال، محمد أبو الفتوح شريف، مكتبة الشباب، مصر، 1979،ط2، ص 14.

والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول منْ كلمة أَخَذَ، يَأْخُذُ، آخِذٌ، مَأْخُوذٌ، أخْذٍ، راعى التغير الذي يحدث في حروف الكلمة – هيئتها – بعيدًا عن حركة الذال وسكُونها، وإذا بحث النحو فيها راعى حركة الذال وسكُونها وهل هي حركة إعراب أو بناء »[1]؛ أي أنَّ بحثه يدور حول اختلاف حركة الإعراب من ضمة أو فتحة أو كسرة.

لمزيد من الإيضاح في ترابط النحو بالصّرف لابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ بعض المسائل النحوية لا يتمُ فهمها إلا بدراسة الصّرف فإذا أخذنا هذا المثال مثلا: « (محمدٌ راكبٌ دراجةً) فلا نعرف الوظيفة النحوية لكلمة (دراجةً) إلا بمعرفة البنية الصّرفية لكلمة (راكبٌ)»[2]، ولهذا توجد صلة بين علمي النحو والصرف؛ كما أنّ الصّرف يُفيدُ في معرفة بعض الأمور النحوية منها : « كيفية الإسناد وبناء الفعل للمجهول أو توكيده بالنون وتمييز اللازم المتعدي أحيانًا مثل: (جَلَسَ وأَجْلَسَ) وتثنية الأسماء أو جمعها وبيان علامات التأنيث»[3].

لعلَّ ابن جني هو خير من أوضح الصّلة بين العلمَين في كتابه المنصف فقال: « إلاّ أنّ التصّريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه، والاشتقاق أقعدُ في اللّغة من التصريف، كما أنّ التصّريف أقربُ إلى النحو من الاشتقاق، يدلك على ذلك أنّك لا تكاد تجد كتابًا في النحو إلاّ والتصريف في آخره، والاشتقاق إنَّما يمرُ بك في كتب النحو من ألفاظِ مشردة لا يَكادُ يُعقدُ لها بابٌ»[4]، إذًا فعلم الصّرف هو فرع متمم للنحو، ولا يمكنُ الاستغناء عنه؛ لأنّه يحددُ دلالة الكلمة من خلال تغير بنائها.

(1) الوسيط في التصريف، القسم الأول تعريف الأفعال، حسين محمد شريف ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1398، ط1، ص 30.

(2) تعلم الصرف بنفسك، محمود إسماعيل، دار المريخ، الرياض، د.ت، دط، ص 14.

(3) الواضح في علم الصرف، محمد خير حلواني، دار المأمون للتراث، دمشق، 1407، ط4، ص 5-6.

(4) المنصف، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: رمضان أيوب، دار اللباب، مصر، 1373-1954، ط1، ج1، ص 354.

يوضح ابن عصفور أهمية علم الصّرف بين العلوم العربية بقوله: « والتصّريف أشرفُ شطري العربية فالذي يُبيّنُ شرفه احتياج جميع المشتغلين باللّغة العربية من نحوي و لغوي إليه أيما حاجة؛ لأنّه ميزان العربية، ألاّ ترى أنُه يَأخُذُ جزءًا كبيرًا من اللّغة بالقياس، ولا يتوصلُ إلى ذلك إلا عن طريق التصّريف»[1].

أمّا النحو فهو يفسر العلاقات بين كلمات الجملة وبين جمل الفقر، وينظرُ إلى تركيب الكلام وتأليفه منْ حيثُ الصحة والاستقامة، ولذلك أُعتُبرَ الجهل بهذا العلم قدحًا في الشخصية ويُعدُّ منقصةً يقول ابن أثير: « ...إنَّ الجهل بالنحو لا يَقدحُ في فصاحة ولا بلاغة، ولكنّه يَقدحُ في الجاهل به نفسُهُ؛ لأنّه رسوم قوم تواضعوا عليه، وهم الناطقون باللّغة فوجب إتّباعهم»[2]؛ والأصلُ أنْ يقدم الصّرف على النحو لكن دَأْبَ المؤلفين كان تقديم النحو على الصّرف لأسباب تعليمية تربوية، يُوضحها السيوطي بقوله: « وقدمتُ النحو على الصّرف، وإنْ كان اللّائق بالوضع العكس إذْ معرفة الذوات أقدم من معرفة الطوارئ والعوارض، لأنَّ الحاجة إليه أهمُ»[3]، ومنْ هذا يمكن أنْ نجد مُبررًا لتقديم السكاكي الصّرف على النحو باعتبار معرفة الهيئات والذوات التي هي من اختصاص علم الصّرف مُقدم على معرفة وظائف الذوات، والتي يخْتصُّ بها علم النحو.

إذَنْ فعْلَم النحو لا يستطيع أنْ يستغني عن الدراسة الصّرفية « لأنَّ العلاقة بين أجزاء التركيب تتأثر بشكل الصيغة، بل إنَّها لتفسُد أحيانًا حين نُبَدلُ صيغةً بأخرى فَمِن المْكن أنْ نقول مثلا: (هذا عملٌ نبيلٌ شريفٌ) لأنّ نظام العربية يشترطُ أنْ تكون الصفة مُشتقة من

(1) الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور، تح: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، 1398-1978،ط3، ج1، ص 30.

(2) المثل السائل في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 1420، ط1، ج1، ص 49.

(3) إتمام الدراية لقراءة النقاية، السيوطي، تح: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1405-1985، ط1، ص 5.

الناحية الصّرفية، ومن ها هنا لم يكن للنُّحاةِ بُدٌّ من أنْ يستعينوا بعلم الصّرف في تحليل بعض العلاقات النحوية فيذكروا مثلا: أنَّ كلاٍ من الحال والصفة يغلبُ عليهما أنْ يكونَا من الأسماء المشتقة التي يُحددها علم الصّرف، وأنَّ الخبر يكون جامدًا من دُونِ ضمير مستتر، بل إنَّ كثيرًا من كُتبِ النحو القديمة والحديثة لَتَمزجُ بين العلمين حيث تتحدث عن المشتقات وعملُها »[1]، ثم إنَّ الصيغ الصرفية هي أدوات نحوية؛ بحيث يُمكن بعد إدخالها في جملة أن تأخذ وظيفة ما وتتغير هذه الوظيفة بتغير العوامل.

نستنتج أنّ هناك علاقة تكامل بين هذين العلمين؛ فالصّرف يُشكلُ مقدمة مهمة لدراسة النحو فكلٌّ منهما يمدُّ الآخر ويتصلُ به اتصالا وثيقًا، كما يرى ابن جني: « إنَّما التصّريف هو لمعرفة أنفس الكَلِمْ الثابتة؛ والنحو إنَّما هو لمعرفة أحواله المتنقلة ألاّ ترى أنّك إذا قلت قامَ بكْرٌ، وأين بكْرًا ؟، ومررتُ ببكْرٍ، فإنّك خالفت بين حركات الإعراب لاختلاف العامل ولم تعرض لسياق الكلمة وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على منْ أراد معرفة النحو أنْ يبدأ بمعرفة التصّريف، لأنّ معرفة ذات الشيء الثابتة يقضي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة، إلاّ أنّ هذا الضرب من العلم لما كان عويصا صعبا بدأ قبله بمعرفة النحو ثم جيء به بعده؛ ليكون الارتباط في النحو موطنًا للدخول فيه ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه وعلى تصرف الحال »[2]، وهذا التعريف يُبيّنُ حقيقة وضرورة الجمع بين الصّرف والنحو اللذين يُعتبران من أهم علوم اللغة العربية، لذلك كان النحويون الأولون يذكرون الصّرف مع النحو.

العلاقة بين النحو والبلاغة:

إنَّ علم النحو يختصُّ بتراكيب الجملة التي هي المنبعُ الرئيس في تأدية المعنى، وقد عرَّفه السكاكي بقوله: « **اعلم أنّ علم النحو هو أنْ تنْحو معرفة كيفية التركيب فيما بين**

(1) المدخل إلى علم الصرف والنحو، مرجع سابق، ص 9-10.

(2) المنصف، مصدر سابق ، ص 4

الكَلِمْ لتأدية أصل المعنى مطلقًا بمقاييس مُستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنيةٍ عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب منْ حيثُ الكيفية »[1].

النحو ينظرُ في تركيب الكلام من حيثُ الصّحة والاستقامة أما البلاغة فتبدأُ من حيثُ ينتهي النحو؛ لأنّها تتجاوزُ الصّحة والاستقامة إلى الجودة والرداءة والفروق والدقائق بين ضروب النّظم المختلفة؛ والنحو والبلاغة توأمان متلازمان لا يمكن الفصل بينهما ويُعتبر عبد القاهر الجرجاني أفضل من وضح هذه العلاقة القوّية بين العلمين بقوله: « اعلم أنّ ليس النّظم إلاّ أنْ تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغُ عنها، وتحفظَ الرسوم التي رُسمت لك فلا تُخِل بشيء منها...» [2]، إذن لا يُمكن دراسة بلاغة الكلام دون التعريج على النحو لأنّه قانون العلاقات التي تحكم النّظم، و به يُعرفُ صحيحُ التركيبِ من فاسده.

عبد القاهر الجرجاني لا يَفْصلُ بين النحو والبلاغة بل يجعلُ النحو في خدمة البلاغة مخالفًا بذلك سُننَ السابقين في نظرتهم إلى النحو، ليؤكد أنّ اللّغة العربية لا يَنفصلُ فيها المعنى عن المبنى وأنّ المزية هي تُخيّر التركيب المناسب للمقام والحال، وهذا ما يُقِرُّه جعفر دِكْ الباب في قوله: « والواقع أنّ عبد القاهر يتطرق إلى مشكلةٍ نحوية لا يبحثُ فيها بحدِّ ذاتها، ولكنّه يتخذها مُنْطلقًا إلى ما هو أعمقُ للوصول إلى دلالتها ودورها في تأدية النمط المنُوط بالرسالة التي يستقبلها المتلقي، وليس بهدف أنْ يعلمنا الرفع والنصب والجزم فهذا مفروغٌ منه، إنَّما يُنبّهنا إلى معادن المعاني وتقرير حال الأوضاع، والمبادئ، وكيف تسري الأحكام في كلِّ أنحاء، وبيان ارتباط البلاغة بغرض المتكلم الذي يقصد إليه من كلامه والمعاني التي أراد إثباتها أو نفيها »[3]، وتتأكد العلاقة بين النحو والبلاغة في علم المعاني؛ الذي يُعتبر فرعًا من علم البلاغة الثلاثة:

(1) مفتاح العلوم، مصدر سابق ، ص 75.

(2) دلائل الإعجاز، أبي بكر عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، ، دار المدني، 1992، ط3، ص 81.

(3) الموجز في شرح دلائل الإعجاز، جعفر دك الباب، مطبعة الأهالي، دمشق، 1980، دط، ص 35.

(البيان، المعاني، البديع)، وهو يهتمُ بدراسة طبيعة ألفاظ اللّغة العربية التي تتلاءم مع الحال المرتبطة به.

من ذلك أنّ السكاكي وضع تعريفًا له حيث يقول: « **هو تتبعُ خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره** »[1]، ويظهر من التعريف أنّ موضوع علم المعاني هو دراسة العلاقة بين تراكيب الكلام ومقتضى الحال؛ فعلم المعاني هو ألصقُ علوم اللّغة بالنحو إذ إنّهما يجتمعان في دراسة أحوال اللفظ العربي، فالنحو يدرسُها من حيثُ الصّحة والجواز والوجوب والامتناع؛ أمّا علم المعاني فيدرسُ الأسرار الكامنة وراء هذه الأحوال؛ لأنَّه يتناولها من حيث كوْنها مطلبًا بلاغيًا يقتضيه المقام.

معنى ذلك أنّ هناك اتفاقًا وتمازجًا بين العلمين؛ حيثُ إنّ النحو هو معرفة كيفية تراكيب فيها بين الكلم لتأدية أصل المعنى، أمّا علم المعاني فهو معرفة خواص التراكيب المتصلة في السياق؛ ثم إنَّ الهدف من النحو الاحتراز عن الخطأ في التركيب وعلم المعاني هدفه الاحتراز عن الخطأ في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فعلم النحو تضبطهُ القواعد أمّا علم المعاني فيضبطه السياق.

أما علم البيان فقال عنه – السكاكي – أنّه: « **معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه** »[2]، وهذا التعريف يحصر مباحث العلم في « دائرة الصياغة الأدبية التي تتجاوز دائرة المواضعة »[3]، معنى هذا أن تتغير الأبنية في علم البيان إذا ما أختِصّ بالتشكيل السطحي، فإنّه لا يُقدِّمُ نتيجةً متغيرةً، بل التغير الحقيقي يكمنُ في البنية

(1) مفتاح العلوم، السكاكي، مصدر سابق، ص 161.
(2) المصدر نفسه، ص 162.
(3) البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص 128.

العميقة؛ وعلى هذا الأساس فإنَّ السكاكي يحصرُ الناتج الدلالي في المستوى العميق الذي يتم من خلاله التحول من معنى إلى معنى آخر[1].

يخرج بعدها إلى أحوال المسند إليه في مبحث مُفصل كبير يتحدث فيه عن حذف المسند إليه وذكره وتعريفه ووصفه وتنكيره وتقديمه على المسند وتأخيره عنه وتخصيصه والمقتضيات البلاغية لكلِّ ذلك، وينقل إلى المسند وتصوير الاعتبارات في كيفياته محذوفًا ومذكورًا ومفردًا وجملة فعليةً أو اسميةً أو معرفًا أو منكرًا أو مفيدًا أو مقدمًا أو مؤخرًا.

إذن عبد القاهر الجرجاني يجعل من النحو والبلاغة علمين متلازمين لا يمكن الفصل بينهما، حيث يلتقيان في نظم الكلم وضم بعضه إلى بعض؛ لأنّهُ لا يمكن دراسة بلاغة الكَلِمِ دون دراسة النحو؛ لأنّ الكاتب أو المتكلم إذا لم يأخذ النحو والبلاغة بعين الاعتبار فسوف يؤدي ذلك إلى فساد التركيب الناجم عن عدم توخي معاني النحو وأحكامه بين الكلمات.

هناك من يرى أنّه على الرّغم من اشتراك علم النحو وعلم المعاني في دراسة الجملة، إلاّ أنّ النحو ينظرُ إلى المفردات ثم ينتهي إلى الجملة كاملة؛ أمّا علم المعاني فإنّه يبدأُ بالجملة الواحدة وقد ينتقلُ إلى العلاقة التي تربطها بالجمل المجاورة لها[2].

لكن رغم اختلاف هذه الآراء، إلاّ أنّه لو درسناها من جهة واحدة لكان الكلام مبعثرًا، لذلك وجب أن نأخُذ بالاعتبار كِلاَ الجانبين فعلم النحو وعلم البلاغة مُتصلانِ ومُتعلقانِ ببعضهما من خلال علم المعاني.

لابُدَّ من الإشارة إلى قول السكاكي: « **وقبل أنْ نندفع إلى سَوْقِ هذه الفصول، فلنذكر شيئًا لابُدَّ منه في ضبط الحديث فيما نحن بصدده، وهو الكشفُ عن معنى الكلمة وأنواعها، الأقرب أنْ يُقال: الكلمة هي اللفظة الموضوعة للمعنى مفردةً،**

(1) ينظر، البلاغة ، مرجع سابق ، ص 129.

(2) ينظر : الأصول، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2000، دط، ص 310.

والمراد بالإفراد أنَّها بمجموعها وُضعت لذلك المعنى دفعةً واحدةً ثم إذا كان معناها مستقلاً بنفسه، وغير مُقترن بأحد الأزمنة الثلاثة مثل: عِلْمٌ وجَهْلٌ سُميت اسمًا، وإذا اقترنت مثل: عِلْمٌ وجَهْلٌ سُميت فعلا، وإذا كان معناها لا يستقل بنفسه مثل: مِنْ وعَنْ سُميت حرفًا، ويُفسر المُستقلُ بنفسه على سبيل التقريب والتأنيس بأنّه الذي يتمُ الجواب به، كقول القائل: زيدٌ في جوابكَ إذا قلت من جاء وقرأ، إذا قلت ماذا فعل بخلافه، أو قال (في أو على)، إذا قلت أين قرأ »[1].

لعلَّنَا في هذا المقام نَستأنس بقول الدكتور عبد الفتاح لاشين: « والتركيب النحوي له معنى أول يدل على ظاهر الوضع اللغوي، وله معنى ثانٍ، ودلالة إضافية تتبع المعنى الأول، وهذا المعنى الثاني، وتلك الدلالة الإضافية هي المقصد والهدف في البلاغة، وقد جهد عبد القاهر في سبيل هذا الهدف، وشقي في الوصول إلى ذلك الغرض، حتى خرج بقاعدة لا تتخلف وقانون لا يقبل النقض، وهو أنّ دقّة النّظم والبلاغة والبراعة، والبيان كامنة في معاني النحو، ومطوية في التركيب اللغوي...، وينتهي إلى: وقد طَبقتُ ذلك على أبواب علم المعاني وعلم البيان، وأَوضحتُ؛ أنّ التراكيب النحوية الصحيحة، والأساليب اللغوية السليمة يسْتَتْبعُها حتمًا معانٍ ثانية، ودلالات إضافية، هي التي يبحثُ عنها علماء البلاغة »[2].

دون أنْ ننسى أنّ أبواب علم المعاني كلّها أبواب نحوية أصالة، بدأ بالإسناد، ثم الخبر والإنشاء، وعلى مستوى الأغراض الحقيقية، وإلى صيغ الإنشاء من: أمر، ونهي واستفهام ثم قصر، والفصل والوصل...

نلمس شيئًا من هذا في قول الدكتور محمد محمد أبو موسى مُتحدثًا عن حقيقي الدّرس البلاغي: «...إنّ جوهر الدرس البلاغي ليس أنْ أقول: إنّ القصر هو كذا، وإنَّ الفصل هو

(1) مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 8-9.

(2) ينظر: التراكيب النحوية، من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، المملكة العربية ا لسعودية، د.ت، دط، ص 4.

كذا، وإنَّ الاستفهام يكون لكذا، وإنمَّا هو بعد هذا أنْ أستخرج بهذه الأصول المعاني المتلبسة بهذه الأدوات، وأنْ أَرتاض على أنّ أُحسن وأُصيب في هذا الاستخراج، وأنْ أَنْفذَ إلى سرّ المعاني التي وقعت عليها هذه الأدوات في نفوس المتكلمين »[1].

الحاصل، نُشير إلى أنَّ هذه العلوم تُشكل مستويات اللّغة التي يدور حولها بناء النص (الأدب)؛ إذ إنَّ كُلَّ هذه المستويات اللغوية تتقاطع في (الكلمة)، من حيثُ إنَّها في الصوت باعتباره حرفًا هو كلمة: وعلم الأصوات من خصائصه أنْ يُسجل خطوات الصوت ليصير كلمة لها دورها في مجتمع اللّغة (الوضعُ).

علم الصّرف: ميدانه الكلمة من حيثُ حركتها الفيزيائية الداخلية مُشكِلةً بذلك صيغة معينة تكتسبُ بها الكلمة مُسمَاها تُميزها عن باقي الأسماء، مع اعتبار السمع والقياس في ذلك.

علم النحو ميدانه الكلمة في مُدرج الكلام؛ لتتخذ وظيفة معينة، مُؤشرة بعلاقة تدلُ إلى موقعها من الإعراب، والبلاغة هي الأخرى ميدانها الكلمة باعتبار الحقيقة والمجاز دون أنْ ننسى علاقتها بالأدب سواء أكان إنشائيًا أم وصفيًا، فهي ترسم الطريق الصحيح للتأليف والإنتاج السليم.

يقول السيد عبد الحميد: « فالصّلة بين النحو والبلاغة واشجَةٌ مُنْذُ عرف العقل الإنساني طريقه إلى التأمل في اللّغة، فالعلاقة بينهما تحكمها جهات من ألوان التقاطع.. [2]، والنحو في أصله التركيبي يمثِّل مستوى الصّحة والجمال والأغراض البلاغية تشترك معه في ذلك، ومن هنا تتضح لنا جلية بين علم الصّرف والنحو والبلاغة عند السكاكي باعتبارها جواهر علم الأدب.

(1) ينظر، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 2004، ط3، ص 4.

(2) دراسات في ا للسانيات العربية، السيد عبد الحميد مصطفى، دار الجامع، 1424-2004، ط1، ص 96.

وظيفة النحو والصرف لا تختلف كثيرًا عن بعضها؛ لأنّ الكلمة العربية مبناها صرفي ومعناها نحوي، فمعاني التثنية والتأنيث والجمع والإفراد والتكسير... نحوية ومبانيها صرفية، قال بن جني: « النحو هو اِنْتِحاءُ سَمْتِ كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره: كالتثنية والجمع والتحقير، والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإنْ شُذَّ بعضهم عنها رُدَّ بها إليها»[1]، يتضح لنا من خلال كلام ابن جني أنّ النحو هو محاكاة العرب في طريقة كلامهم تجنبًا للحْنِ وتمْكينًا للمستعرب أنْ يكون فصيحًا وسليم اللّغة عند الكلام.

يَشتركُ العلمان (الصَّرف والنحو) في بعض المفردات الصّرفية التي لها وظيفة نحوية منها: اسم الفاعل، صيغ المبالغة، المصدر، اسم المفعول، والصفة المشبهة باسم الفاعل، تحدثنا عن أحد هذه المفردات واخترنا (المصدر)، يعمل المصدر عمل الفعل في موضعين: « الأول يكون نائبًا مَنَابَ الفعل، مثل (ضرباً زيدَ) ف (زيدَ) منصوبا ب (ضرباً)، لنيابته مناب (اضربْ) وفيه ضمير مستتر كما في (إضْرِبْ)، والثاني: أن يكون المصدر مقدرًا (بأنَّ والفعل) إذا أُريد به الماضي أو المستقبل مثل (عَجبتُ منْ ضَربكَ زيداً أمسَ أو غدًا)، والتقدير (عَجبْتُ منْ أنْ ضَربتَ زيدًا أمس) أو (أنْ تَضربَ زيداً غداً)، ويقدر بـ (ما والفعل) إذا أُريد به الحال مثل : (عَجبْتُ منْ ضَرْبِكَ زيدًا الآن) »[2]، إذاً النحو ليس مقتصرًا على ضبط أواخر الكلمات فقط بل إنّ المستوى الصرفي يمثلُ الأساس بالنسبة للمستوى النحوي.

(1) الخصائص، عثمان بن جني، تح : محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1952، دط، ج1، ص 34.
(2) شرح ابن عقيل، ابن عقيل، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2004، دط، ج3، ص 88.

خاتمـــــــــة

من خلال قراءتنا لكتاب مفتاح العلوم للسكاكي؛ بحثا عن العلاقة بين النحو والصرف والبلاغة فيه خلصنا إلى النتائج الآتية:

1- إنّ السّكاكي يعتبر من الأعلام الذين كان لهم دور في إثراء البلاغة العربية في كتابه مفتاح العلوم.

2- قضية الإعجاز القرآني كان لها أثرها البالغ في إثارة الجدل الواسع بين المتكلمين على اختلاف مشاربهم، فأفاد منها اللغويون والبلاغيون فكانت السبب الأساسي في قيام علمي اللغة والبلاغة.

3- إنّ السّكاكي سار في تناوله للبلاغة على ما سار عليه من سبقه من المفسرين، ومن منهجه في ذلك ذكره الفنون البلاغية للآيات القرآنية في ثنايا شرحه وتفسيره.

4- لاحظنا اهتمامه علم المعاني وعلم البيان أكثر من اهتمامه بعلم البديع، ولعله في ذلك يقتدي بالجرجاني والزّمخشري.

5- تأثره ببعض علماء البلاغة من أمثال: الجرجاني وأبي عبيدة، والحاتمي، والزّمخشري وأبو عثمان الجاحظ، وفخر الرازي، وقدامة بن جعفر.

6- كانت له آراء خاصة في المسائل البلاغية، فكان يشير إلى مسائل بلاغية لم يذكرها من سبقه من السّلف، أو يخالف آراء العلماء السابقين في نظرتهم للبلاغة.

7- يعد التّكامل المعرفي بين علوم اللغة والأدب نموذجا واضحا في هذا المجال، حيث يعتبران توأمين يتقاطعان ويتكاملان يعمل كلّ منهما على تنمية الذّوق اللغوي ليصبح قادرا على بلاغة الأداء.

8- ظهرت مجهودات في ربط النّحو بالبلاغة منذ الإرهاصات الأولى للدراسات اللغوية.

9- أشار السّكاكي إلى ارتباط النّحو بالصّرف في بعض الرّسائل النّحوية والتي لا يتم فهمها إلا بدراسة الصّرف.

10- جاء النّحو لمعرفة أحوال الكلمة المتنقلة أما الصّرف فهو لمعرفة أنفُسِ الكلمة الثابتة.

11- خلصنا إلى أنّ علم النّحو وعلم البلاغة متصلان ببعض من خلال علم المعاني.

12- ارتكز السّكاكي على أسس عميقة للموروث العربي لسابقيه.

13- من خلال بحثنا هذا وجدنا أنّ السّكاكي يجمع بين هاته العلوم باعتبارها علم الأدب.

14- علم النّحو لا يستغني عن الدّراسة الصّرفية؛ لأنّ العلاقة بين أجزاء التّركيب تتأثر بشكل الصيغة، بل إنها لَتفسُدُ أحيانا إذا بدّلنا صيغة بأخرى.

15- الصيغ الصرفية هي الأدوات النّحوية؛ بحيث يمكن بعد إدخالها في جملة لتأخذ وظيفة ما، وتتغير هذه الوظيفة بتغير العوامل.

16- قدّم السّكاكي علم الصّرف على علم النّحو باعتبار معرفة الهيئات والذوات (تختص بالصّرف) مقدمة على معرفة وظائف الذّوات (تختص بعلم النحو).

17- لا يمكن الكشف عن بلاغة الكلام دون التّعريج عن النّحو؛ لأنه قانون العلاقات التي تحكم النّظم، وبه يعرف صحيح التّركيب من فاسده.

18- النّحو ينظر في تركيب الكلام من حيث الصّحة والاستقامة أما البلاغة فتبدأ من حيث ينتهي النّحو.

19- علم المعاني وعلم النّحو يجتمعان في دراسة أحوال اللفظ العربي؛ حيث إنّ النّحو هو معرفة كيفية التراكيب بين الكَلِمْ لتأدية أصل المعنى، أما علم المعاني فهو معرفة خواص التراكيب المتصلة بالسّياق؛ لأنه يدرسها من حيث الوجوب والجواز والامتناع، وعلم المعاني يدرس الأسرار الكامنة وراء هذه الأحوال كالترغيب والترهيب ومن هنا تتأكد العلاقة.

20- يشير السّكاكي إلى أن (الكلمة) هي العامل الذي يربط بين هذه العلوم الثلاثة وتشترك فيه؛ حيث تدور مباحث هذه العلوم حول التغير الذي يحدث في الكلمة العربية.

21- الهدف هو أن كُلا من هذه العلوم (صرف، نحو، بلاغة) نشأت لخدمة النّص القرآني وحماية الكلام العربي وحفظه من اللحن، فهي تهدف إلى تقويم اللسان العربي، والعلاقة بينهم قوية كالعلاقة بين مادة البناء والبناء نفسه.

بعد هذه المقاربة من الدّراسة المتعلقة بالعلاقة بين العلوم الثلاثة (نحو، صرف، بلاغة) عند السّكاكي، هذا الرجل المتفرد بغزارة علمه وسلامة ذوقه؛ لا يمكننا الجزم بأنّ الموضوع قد نال حقه كاملا، لأنّ السّكاكي ذو علم واسع وخيال ملهم وأسلوب دقيق لا يسعنا الإحاطة به كاملا، هذه هي أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، سائلين الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم المصير، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية ورش.

1- إتمام الدراية لقراءة النقاية، جلال الدّين عبد الرحمان السيوطي، تح: إبراهيم العجوز، ط:01، 1405هـ.1985م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

2- أساسيات علم الصّرف، عبد اللطيف أحمد سعيد، الطبعة:02، سنة 1999م، دار المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندرية.

3- الأعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة:15، سنة2002م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

4- الأصول، تمام حسان، دون طبعة، سنة 2000م، علم الكتب، القاهرة .

5- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني جلال الدّين، الطبعة:01، سنة 1424هـ.2003م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

6- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، الطبعة:01، سنة 2007م، دار الأبحاث، الجزائر.

7- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني، دون طبعة، دون سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

8- البلاغة بين البيان والبديع، فهد خليل زايد، الطبعة:01، سنة2009م، دار يافا العلمية، عمان، الأردن.

9- البلاغة العربية أصولها وامتدادها، محمد العمري، الطبعة:02،سنة 2010م،إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

10- البلاغة العربية قراءة أخري، محمد عبد المطلب، الطبعة:01، سنة 2010م،مكتب لبنان، بيروت، لبنان.

11- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، عبد الفتاح لاشين، دون طبعة، دون تاريخ، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية.

12- تسهيل البلاغة، أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشري، دون طبعة، 2006م، دار الإيمان، الإسكندرية، القاهرة.

13- تعلم الصّرف العربي بنفسك، محمود إسماعيل، دون طبعة، دار المريخ، الرياض.

14- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف أحمد الهاشمي، الطبعة :02 سنة1417هـ.1996م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

15- الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي نجار، دون طبعة، سنة1952 م، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

16- دراسات في علم اللسانيات العربية، السيد عبد الحميد مصطفى، الطبعة: 01 سنة 1424هـ.2004م، دار الجامع.

17- دلائل الإعجاز، أبي بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، الطبعة.03، سنة 1992م، دار المدني.

18- دلائل الإعجاز، تأليف عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة :01، دار الجيل، بيروت.

19- دلالات التراكيب لدراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، الطبعة:03، سنة 2004م، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

20- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسومي الخوانساري الأصبهاني، الطبعة :01، سنة1991م، الدار الإسلامية، بيروت، لبنان.

21- شرح ابن عقيل، ابن عقيل، دون طبعة، سنة 2004م، المكتبة العصرية ،بيروت ، لبنان.

22- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دون طبعة، دون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

23- الصّرف الميسر، رحاب شاهر محمد الحوامد، الطبعة:01، سنة 1431هـ.2010م، دار صفاء، عمان، الأردن.

24- الصّرف والنحو دراسة وصفية تطبيقية في مفردات برنامج السنة الأولى الجامعية، لصالح بلعيد، دون طبعة، سنة 2013م، دار هومة، الجزائر.

25- علم الصّرف، سميح أبو مغلي، الطبعة :01، سنة 1431هـ.2010م، دار البداية، عمان.

26- علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، الطبعة :2007،04م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

27- في البلاغة العربية علم البيان، عبد العزيز عتيق، دون طبعة، دون سنة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

28- في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دون طبعة، دون سنة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

29- القاموس المحيط، مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة:08، سنة 1426هـ.2005م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

30- قصص الأبرار، مرتضى مطهري، تحقيق: جعفر بهاء الدين، الطبعة:01، 2008م، منشورات الرضا، دار المحجّة البيضاء، بيروت، لبنان.

31- لسان العرب، لابن منظور، الطبعة:01، دون سنة، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة.

32- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة:01، سنة1420هـ، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

33- المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، محمد بن علي الصامل، الطبعة:02، 1426هـ.2005م، دار كنوز اشبيليا، الرياض، المملكة العربية السعودية.

34- المدخل إلى دراسة النحو العربي، علي أبو المكارم، الطبعة.01، سنة 2006م، دار غريب، القاهرة.

35- المدخل إلى علم الصّرف والنّحو، عبد العزيز عتيق، الطبعة:02، سنة 1974م، دار النهضة، بيروت، لبنان.

36- المستوى الثاني: المستوى الصّرفي الصّرف الوظيفي، تطبيقات وتدريبات في الصّرف العربي، فهد خليل زايد، الطبعة:01، سنة2011م، دار الصفوة، العبدلي، عمان.

37- المستوى الرابع: المستوى البلاغي البيان والبديع وعلم المعاني، فهد خليل زايد، الطبعة:01، سنة2011م، دار الصفوة، العبدلي، عمان.

38- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، المجلد الأول، الطبعة:05، سنة1432 هـ.2011م، دار الفكر، عمان، الأردن.

39- معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: حسان عباس، الطبعة :01، سنة 1411هـ.1991م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

40- معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، الطبعة 03، سنة 1408هـ1988م، دار المنارة، جدّة.

41- معجم العين مرتبًا على حروف المعجم، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، الطبعة:01، سنة 1424هـ.2003م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

42- المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، إنعام قوّال عكّاوي مراجعة: أحمد شمس الدّين، الطبعة:02، سنة 1417هـ.1996م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

43- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دون طبعة، سنة 1392 هـ.1972م، دار الفكر، القاهرة.

44- مفتاح العلوم، أبي يعقوب أبي علي السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، الطبعة الثانية، سنة 1407هـ. 1987م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

45- الموجز في شرح دلائل الإعجاز، جعفر دك الباب، دون طبعة، سنة 1980م، مطبعة الأهالي، دمشق.

46- المنصف، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: رمضان أيوب، الطبعة:01، سنة 1373هـ.1954م، دار اللباب، مصر.

47- الموسوعة الثقافية العامة، علوم البلاغة، راجي الأسمر، دون طبعة، سنة 1426هـ.2005م، دار جيل، بيروت.

48- الموسوعة العربية، الوليد المغيرة المخزومي، اطلع عليه بتاريخ 22 ماي 2019م.

49- الميسر في البلاغة العربية: علم البيان. علم المعاني. علم البديع، ابن عبد الله، دون طبعة، دون سنة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

50- نظرة وصفية في تصريف الأفعال، محمد أبو الفتوح شريف، الطبعة:02،سنة 1979م، مكتب الشباب، مصر.

51- الواضح في علم الصرف، محمد خير حلواني، الطبعة:04، سنة 1407ه، دار مأمون، للتراث، دمشق.

52- الوسيط في التصريف، القسم الأول: تعريف الأفعال، حسن محمد شريف، الطبعة:01، سنة 1398هـ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

الرقم	العنوان	الصفحة
01	شكر وعرفان.....	
02	الملخص.....	
03	المقدمة.....	**أ-ب-ج-د**
04	مدخل تمهيدي.....	**10-6**
05	المبحث الأول: علم الصرف.....	**18-12**
06	المبحث الثاني: علم النحو.....	**27-20**
07	المبحث الثالث: علم البلاغة.....	**43-29**
08	المبحث الرابع: العلاقة بين هذه العلوم.....	**55-45**
09	الخاتمة.....	**58-57**
10	قائمة المصادر والمراجع.....	**64-60**
11	فهرس الموضوعات.....	